

فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ - ﷺ - :

✍️ فقال لهم :

(١) انظر القصة في: الحاكم برقم ٤٩٤٦، فوائد تمام، برقم ١١١٢، وتاريخ دمشق ج ١٠، ص ١٣٨، وفي سند القصة مقال.

الظلم، ومرتفعاً يأوي إليه من أراد الامتناع .. هذه الأخلاق؛ تجعل لنفس المرء سحرًا حلالاً، ورونقاً وجمالاً؛ تهوي إليه أفئدة الناس، حينها يصير الإنسان - الذي تخلّق بأخلاق " يألّف ويؤلّف " - كالسلطان في الأرض، كالملك، كالرئيس .. كالحاكم الذي يأوي اللهيئ إلى ظله، ويلجأ الضعيف إلى عدله.

لذلك كان حُسن الخلق خيرَ قرين، وكان الأدب خيرَ رصيد، وكان الرفق خيرَ طريق .. فاحرص أخي أن تكون طيب العشرة، حاذق الطرف، حسن المفاكهة، مُجيد الدعابة، جميل المعاملة، لين الجانب .. مع حسن السمّت، وطول الصمت، وكثرة الوقار، وعمق الحياء، وعلو التواضع.

واعم أن مفتاح التمكن من قلوب الناس؛ في قضاء حوائجهم، والزهد عما في أيديهم . فإذا أردت أن تملك قلب إنسان؛ فاقض له حاجه وازهد في نواله.

واعلم أنه لا سيادة دون إنفاق، ولا ريادة دون بذل، ولا مكانة لحسود، ولا وقار للجوج - وكل هذه - أي البخل والحرص والحسد واللجوج - من مغاليق قلوب الناس دونك.

واعلم أن المتكبر قد يملأ السمع والبصر، ويصل صيته في كل مكان، ويشاع ذكره في كل حذب وصوب - عدا مكان واحد هو قلوب الناس .
١- الإحسان إلى ضعيف من الضعفاء، ببذل صدقة أو هدية له.

٢- استخدام التقنيات الحديثة مثل الجوال والإنترنت في توثيق الصلة بينك وبين إخوانك، فارسل رسائل المحبة والتهنئة والدعوة من حين لآخر .

٣- لا تبخل أبداً، فإن البخيل ييغضه الله وييغضه الناس وييغضه الأهل وييغضه الولد .



دارٌ أُحْيَتْ البيوتات والدُّور . دارٌ نثرت في ربوع
العالم الحضارة والنور . دارٌ تَخْرَجُ فيها سادة
العالم، وأنتجت للدنيا العلماء والفقهاء والأدباء
والمجاهدين والمجددين .



دار الأرقم

أحقُّ دارٍ بأن تدعى مباركة؛ دارٌ جلس فيها أعظم الأنبياء
إلى أعظم الأتباع لِيُعَدَّهُم أعظم أمةٍ أخرجت للناس .
إنها دارُ الأرقم .. التي هي مَنبَعُ السُّودِدِ والمجدِّ، ومنشأ العلم الراسخ، والفتح
المنيف الباذخ.

مقر الدعوة

كانت دار الأرقم ابن أبي الأرقم المخزومي هي أول مؤسسة تربوية في تاريخ
الإسلام، وقد كان النبي - ﷺ - يجتمع فيها بأصحابه يتلو عليهم القرآن، ويزكيهم،
ويعلمهم الكتاب والحكمة .

وكان لابد من أن يجتمع المربي بتلاميذه، والقائده بأمرائه، وكان لابد من مَقَرٍ يجتمع
فيه العاملون للدعوة، حيث تُفَصِّلُ فيه الآيات، وتُشرح فيه الدروس، وتُحلل فيه
الأحداث، وهي أمور تضيق بها الخطب العامة، واللقاءات العابرة.

إذاً كان لابد من هذه المؤسسة التي تُفَصِّلُ بين العمل الدعوي العام - الموجه للناس
كافة - والعمل التربوي الخاص - الموجه لرجال الدعوة خاصة -، وهذا الأخير؛ إذا
نجح، نجح العمل العام، فهو كالسراج كلما اشتد وهجه أشد أثره. وكلما كانت
الجرعة التربوية مُركَّزة كلما تحققت الشبهات الفكرية التي تدور على رؤوس الشباب
الأحداث في الدين، كالسراج - أيضاً - كلما قَوَّيت شُهْبُهُ كان أبصر للناس إذا ادلهمت
الظلمة. فهذا الذي يشتكي كثرة القلاقل الفكرية في رأسه؛ إنما يشتكي ضعف التربية في
نفسه، والذين جاهدوا أنفسهم، في الله هداهم سبله.

السرية

واختار رسول الله - ﷺ - هذه الدار بالذات - في مرحلة الدعوة السرية - لعدة عوامل
أهمها: أن هذه الدار لفتى صغير - هو الأرقم - ومن قبيلةٍ معاديةٍ للإسلام - هي بني مخزوم -

وهي قبيلة أبي جهل أشد القبائل عداوة لبني هاشم، فلم يكن أحدٌ يتوقع أن تكون الاجتماعات السرية للمسلمين في دار لفتى من أغمار المسلمين حيث تكون الأنظار على رجالات الدعوة الكبار، ولم يكن لأحد أن يُفتش عن لقاءات محمد ﷺ في بيوت أعدائه . وحافظ المسلمون على سرية مقرهم - حتى لا يُفسده المشركون ولا يلاحقون المسلمين من وقت لآخر كما يفحل جلاوزة الليل مع الدعاة -، ولا أدل على ذلك من قصة أبي بكر - رضي الله عنه - التي وقف فيها خطيباً في المسجد الحرام يدعو الناس إلى الله فقاموا إليه وضربوه ضرباً شديداً حتى فقد وعيه، ودنا منه عتبة بن ربيعة فجعل يضربه بنعلين مخصوفين و يحرفهما لوجهه، وحمل أبوبكر إلى بيته، ولا يشك الناس في موته ثم استفاق وسأل عن رسول الله ﷺ - فلم يجبه أحد. وقالوا لأمه أم الخير : انظري أن تطعميه شيئاً أو تسقيه إياه فلما خلت به ألحت عليه و جعل يقول : ما فعل رسول الله ﷺ - ؟ فقالت : و الله مالي علم بصاحبك، فقال : اذهبي إلى أم جميل بنت الخطاب فاسأليها عنه . فخرجت حتى جاءت أم جميل فقالت : إن أبا بكر يسألك عن محمد بن عبد الله ؟

فقالت : ما أعرف أبا بكر ولا محمد بن عبد الله وإن كنت تحبين أن أذهب معك إلى ابنك، قالت : نعم فمضت معها حتى وجدت أبا بكر صريعاً دنفاً فدنت أم جميل وأعلنت بالصياح وقالت : و الله إن قومًا نالوا هذا منك لأهل فسق وكفر وإني لأرجو أن ينتقم الله لك منهم.

قال : فما فعل رسول الله ﷺ - ؟

قالت : هذه أمك تسمع .

قال : فلا شيء عليك منها.

قالت : سالمٌ صالحٌ.

قال : أين هو ؟

قالت : في دار ابن الأرقم .

قال : فإن الله على أن لا أذوق طعاماً ولا أشرب شراباً أو آتي رسول الله ﷺ ^(١) .

(١) انظر : ابن كثير (السيرة) ١ / ٤٣٩ .

تأمل ما وضعتُ تحته خطأً، وانظر إلى فعل أم جميل - رضي الله عنها -، إذ أنكرت معرفتها بالنبي - ﷺ - وبأبي بكر، ولم تخبر أم أبي بكر بمكان النبي - ﷺ -، حتى إذا دخلت أم جميل على أبي بكر تعوده وسألها عن مكان النبي - ﷺ -، أنكرت عليه، وهي تقول: "هذه أمك تسمع"، أي كيف أخبرك وهذه أمك تسمعنا وهي ليست منا. فلما طمأنها بقوله: "فلا شيء عليك منها"، قالت: سالم صالح... في دار ابن الأرقم. وإمعاناً في المحافظة على سرية دار الأرقم؛ خرجن به بعد أن "هدأت الرجل، وسكن الناس".

الاستمرارية

واستمرت دارُ الأرقم حية بإحياء شباب مكة وإخراجهم من الظلمات إلى النور، ويفدُ إليها العربُ من خارج مكة - سرًّا - كأبي ذرِّ الغفاري وغيره - فيخرجون من الثبور إلى الحبور، ولم يُذكر أنها توقفت اللهم إلا في سفرة النبي - ﷺ - إلى الطائف في العام العاشر من البعثة .

(١) أبو نعيم: معرفة الصحابة، برقم ٧٢٧٤.

*****السيرة النبوية*****

وربما لم تتوقف، وهذا في الغالب، فلعل قراء الصحابة كانوا يجتمعون بالمسلمين الجدد فيها وفي بيوتهم، في نظام أشبه بالأسر التربوية أو الحلق التعليمية؛ لكل أسرة معلم، ولكل مجموعة نقيب، ومثال ذلك ما أبانته قصة إسلام عمر - رضي الله عنه - إذ لما دخل بيت ختنه وابن عمه سعيد بن زيد بن عمرو [زوج فاطمة بنت الخطاب؛ فوجيء بخباب بن الارت ومعه صحيفة فيها سورة طه يقرئها إياها .. ويظهر من ذلك أن علماء الصحابة في هذا الوقت كانوا يتعهدون البيوت سرا لتعليم المسلمين. إذ كانت دار الأرقم هي مقر العمل التربوي الدعوي وما عداها من دور فتابع لها، إذ كانت هذه الدار تُخرج الصحابة فتشرهم في بيوت مكة دعاة إلى الله هنا وهناك ..

المهام

التلاوة، التزكية، التعليم .. كانت هذه الثلاثية النائية هي مهام النبي ﷺ - في هذه الدار، وهي المهام التي حددها الله تعالى لمُعدي الأمم والحضارات .

✎ قال الله تعالى :

﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ ءَايَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ [آل عمران: ١٦٤]

﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيَّةِ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ ءَايَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ [الجمعة: ٢]

✎ أما التلاوة ، فقد كانت هي المهمة الأولى : ﴿يَتْلُوا عَلَيْهِمْ ءَايَاتِهِ﴾ ، وكانت هي التكليف الأول : ﴿أَقْرَأْ بِأَسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾ [العلق: ١] ، وكانت هي الوسيلة الأولى لتبليغ رسالات الله ﴿وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ﴾ [العنكبوت: ١٨] .

فالقراءة المستمرة لهذا الكتاب هدف رئيسي للدعاة، وتكليف منوط بهذه الأمة المكلفة بتبليغ هذا الدين للناس ...

لقد كتب الله أن يترتل هذا الكتاب إلى قيام الساعة؛ فلن يتوقف ترتيله ما دام الليل والنهار، ليكون - دومًا - البلاغ الماثل، والبث المستمر، والكتاب المفتوح الدائم المهيمن.

❦ وأما التزكية؛ هي التربية، وهي المهمة الثانية للنبي ﷺ - وأتباعه من المرين والدعاة: ﴿وَيُزَكِّهِمْ﴾، فإذا قرأ عليهم القرآن؛ تهيئت نفوسهم بعد ذلك لتلقي الدروس والتربوية ومكابدة الصعاب في سبيل تطهير النفس وتحليتها بمكارم الأخلاق . ولا حراك لنهضة لا تقوم على التربية، ولا فكاك لوطن - من الاحتلال - دون تربية، ولا دولة دون تربية، ولا خلافة دون تربية ... التربية هي الطريق . وهكذا نص القرآن على المهمة التربوية للنبي ﷺ - ، ليكون في ذلك درس لأصحاب الدعوات الإسلامية .

❦ والمهمة الثالثة، هي التعليم: ﴿وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ﴾، ولم نرى يوماً أن الله مكن للجاهلين .. وإنما تدور دولة الدول على أعلم الناس . وكانت المادة الدراسية التي يعلمها الرسول ﷺ - لتلاميذ دار الأرقم منحصرة في فرعين :

❦ الأول : الكتاب وهو القرآن

❦ الثاني : الحكمة، وهي كل علم نافع، وفكر ناجع، وهي كل مثل وقصة وموعظة ونصيحة تحمل خيراً، وهي كل فعل أو قول أو تقرير ورد عن النبي ﷺ - . إذاً كان رسول الله ﷺ - أوسع عقلاً، وأرجح رأياً من هؤلاء الذين حصروا العلم في متون جامدة، وفروع ثابتة .

لقد كانت المادة الدراسية في دار الأرقم هي الكتاب والحكمة، وكان الصحابة يتلقون دروس القرآن وتعاليم الحكمة؛ غضة طرية، سهلة لينة، من صاحب الخلق العظيم في ظلال المعيشة التربوية في دار الأرقم .

١- مفاتيح دار الأرقم : التاءات الثلاث : التلاوة، التزكية، التعليم؛ فاجعل لنفسك منهن منهلاً .. وافتح ديوان نفسك، وكن رقيب أمرك .

٢- ولا تفوتن يوماً إلا وقد قرأت من القرآن ورداً، وزكيت نفسك موعظة، وعلمت نفسك علماً . هذا في كل يوم .



٣- ثم اجمع أصدقائك في دارك حول هذه الثلاثة، مع شيخ ثقة، أو معلم فقه، أو باحث شرعي، أو كاتب إسلامي، أو أديب أريب، أو نبيل جليل، ولتسع جاهداً إلى أرْقَمَةِ بَيْتِكَ. وهذا في كل أسبوع .



الفصل الرابع

الدعوة جهراً



ثم العمل .

كلها دروس في خطبة رسول الله - ﷺ - على جبل الصفا.

﴿ نَزَلَتْ : ﴿ وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ ﴾ ﴾ [الشعراء: ٢١٤] ، فَخَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ -
حَتَّى صَعِدَ الصَّافَا فَهَتَفَ :

فَقَالُوا : مَنْ هَذَا ؟

أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَخْبَرْتَكُمْ أَنَّ نَخِيلًا تَخْرُجُ مِنْ سَفْحِ هَذَا الْجَبَلِ، أَكُنْتُمْ مُصَدِّقِيَّ؟ "

﴿ قَالَ : " فَإِنِّي نَذِيرٌ لَّكُمْ بَيْنَ يَدَيِ عَذَابٍ شَدِيدٍ " .

﴿فَنَزَلْتُهُ﴾ ﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ﴾ [المسد: ١] ^(١)

على جبل الصفا - وهو من أعلى جبال مكة - كان الإعلان عن الدعوة؛ إذ الدعاة يعتلون أعلى المنابر، والمجاهدون يمتطون أعتق الجياد، والجميعُ يَعدّون ما استطاعوا من قوة - .

(١) أخرجه البخاري: ٤٥٨٩ .

وهكذا دومًا أعلام الإسلام، يبتغون من وراء المنبر الإعلامي رفعة الدين وإعلاء كلمة الإسلام؛ وينشرونها من أعلى ربوة، وأسمق مبنى، وأكبر صحيفة، وأشهر مجلة، وأهم قناة فضائية ...

وعلى جبل الصفا، وجّه النبي ﷺ - نصحه علنًا لأهله وعشيرته؛ لتخلص الدعوة لله من كل العصبية خلا وشيعة الأخوة الإسلامية .

وعلى جبل الصفا كانت الصيحة الأولى بالخطر الذي يتهدد البشرية : " يَا صَبَاحَاهُ !! " ^(١) . ولم تكن صيحة تنذر بجيش غازٍ، أو عدو زاحف؛ إنما كانت صيحة تحذر من الخطر الماحق المحدث بالإنسانية؛ وتنذر بالطريق المظلم الذي سلكته البشرية - وهي في أحط عصورها - من فساد طال المعتقدات والأخلاق والسلوك والمعاملات، وقد أوشكت البشرية أن تغرق في طوفان لا نجاء منه إلى قيام الساعة .. لولا وثبة الداعي، وصيحة الحق: " يَا صَبَاحَاهُ !! " .

وعلى جبل الصفا؛ بدأت الدعوة العلنية صافية - ومن حُسْنِ الطالع أن تبدأ صافية على جبل اسمه الصفا - جليلة لا لبث فيها ولا غبش، واضحة سهلة محددة: " فَإِنِّي نَذِيرٌ لَّكُمْ بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ " ^(٢) .

وعلى جبل الصفا، كانت البداية، ليُعرف فضلها كلُّ ساعٍ وزائر، وليذكر أهميتها كل حاج ومعتمر، وفضل الوقفة الصلبة في وجه الباطل، وفضل الكلمة الصادقة في وجه الكذب، وفضل كلمة الحق التي قد تفعل ما لا تفعله الطيارات والدبابات.

(١) البخاري: ٤٥٨٩ .

(٢) البخاري: ٤٥٨٩ .

هذه الوقفة الشجاعة التي وقفها سيد الشجعان؛ لتترنح حولها مناقب السادة والقادة من الشجعان على مر التاريخ .. إنها وقفة لا يدرك كنهها سوى الدارس المتبصر لطبيعة المجتمع القرشي في جاهليته .

هذا اليتيم الذي وقفَ ينادي على أهل بيته وقومه على حد سواء، ويهتف فيهم بهتاف يزلزل معتقدات باطلة، وعادات فاسدة؛ توارثها القومُ جيلاً بعد جيل، وتأصلت فيهم هذه الثقافات؛ حتى أصبحت مصادر أرزاقهم من هذه الأوثان المتراصة حول البيت الحرام .

ثَبَّتْ قَدْمُهُ - ﷺ - وهو ينفض هذه الجاهليات عن كاهل البشر، ويعتلي هذه الربوة بخطوات وثيقة؛ ربيط الجأش، يتأبط التوكل، فلم يهتز ولم يتلجلج؛ فآثار انتباههم - في بادئ الأمر - وأشهدهم على أنفسهم - بما عُرف به من الصدق - فقال :
 "أَرَأَيْتُمْ إِنِ أَخْبَرْتُكُمْ أَنَّ خَيْلًا تَخْرُجُ مِنْ سَفْحِ هَذَا الْجَبَلِ، أَكُنْتُمْ مُصَدِّقِيَّ ؟ " هكذا
 نبه شعورهم، وأيقظ أفئدتهم، وهيئها وفرش لها ليلقي عليهم الكلمة الحقّة التي لن
 ينسوها ..

وقد قالوا جميعاً ولم يتردد أحد فيها : " مَا جَرَّبْنَا عَلَيْكَ كَذِبًا " ، فتاريخه
أصفى من الشهد، وسيرته خير سيرة، وبره أحسن بر، ومجده أعظم مجد، هكذا عرفوه في
شبابه، ولقبوه بالأمين، هو الذي حقن دماءهم يوم الحجر الأسود، ووَحَّدَ صفهم؛ وقد
أوشك الناس على الاقتتال، وهم الذين ارتضوه حكماً بينهم في هذا النزاع الخطير . وقد
جعل بيته خزانة لأماناتهم؛ فلا تطمئن قلوبهم على أموالهم حتى تكون في بيت محمد ﷺ ،
فتقر نفوسهم ويبدأ بالهم، وكأننا ألقوا أموالهم في حصن منيع، أو برئ حفيظ .
.... فلما كانت هذه شهادتهم فيه، قال قولته؛ يعرّف بنفسه ورسالته في أوجز جملة :
" فَإِنِّي نَذِيرٌ لَّكُمْ يَوْمَ يَدْعِي عَذَابٌ شَدِيدٌ " .

.... فلما كانت هذه شهادتهم فيه، قال قولته؛ يعرّف بنفسه ورسالته في أوجز جملة :
"فَإِنِّي نَذِيرٌ لَّكُمْ بَيْنَ يَدَيِ عَذَابٍ شَدِيدٍ" .

وسكت الناس، وكأنها نقرهم ديك، ووقفوا ملياً يفكرون في هذه الكلمة، وصمتوا ولم يؤيدوا على التوا خشية الصناديد الطغاة، وصمتوا حتى يسمعوا ردة فعل السادة الكبار، وبالفعل لم يُسمع سوى صوت صنديد يمثل الهيئة الرسمية الحاكمة في مكة، فكان الرد القوي الذي يريد أن يربو ويتناول ليدفع شيئاً مما أحدثته كلمة الصدق :

*** السَّيْرَةُ النَّبَوِيَّةُ ***
وهؤلاء لا فضيلة لهم ولا أثر؛ إذ كيف يستقيم الظل والعود أعوج! و"كُلُّكُمْ رَاعٍ،
وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ"، ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا﴾ [طه: ١٣٢].

فكلكم راع ونحن رعية ... وكل سيلقى ربه فيحاسبه

يا قارئ! بمثل هذه الوقفات العظيمة، تمتطي كاهل المجد، وتصطفي كامل
السعد، وتحرز الجنة وحسن الذكر .

وهل ساد السادة إلا بمثل هذه الوقفات ؟ وهل عرفنا العطاء إلا بهذه الوقفات ؟
وهل نال الصحابة ما نالوا من الشرف والتمكين إلا بمواقفهم ؟

نحن في احتياج لمثل هذه الوقفة - وقفة الصفا - في كثير من الميادين والدوائر؛
لا سيما في التي كثر فيها الفساد .

وقفة وصرخة في أرباب الفساد الأخلاقي؛ أهل العُهر الفني، والفُجر الفكري،
والدُعر الأدبي . وقفة وصرخة في صناع الفسولة والميوعة، رواد السفاهة والبلاهة.
وقفة وصرخة في جموع المهرجين في جميع مجالات التهريج ..

✍ **اكتب دوماً واهتف**؛ يا صباحاه .. لا لتخييل الأمة !!!

١- مدارس سورة الشعراء

٢- أحرز موقفاً تجهر فيه بكلمة الحق

٣- إذا دعوت إلى الله فلا تلتفت للمسفهين، وامض،

وواصل كلمتك .



صناعة الشبهة، أو اختلاق الفرية، أو إنشاء الشائعة، هو ابتكار فكرة باطلة تتحد حولها الآراء .



صناعة التشبهات

فإذا ما نطق شخص وقال كذباً : إن الداعية الفلاني يدخن السجائر مثلاً، ثم تلقف هذه الكذبة شخص آخر ساذج، ثم نقلها الساذج إلى الآخرين على سبيل الخبر المشكوك فيه، ثم نقلها الآخرون إلى غيرهم على سبيل الخبر المُرَجَّح صحته، ثم ينتقل الخبرُ هنا وهناك وقد صار حقيقة لا مرأى فيها، وهكذا تظل الشائعةُ تنتقل من الألسن إلى الأذن حتى تصل إلى صاحبنا الذي أطلقها وأنشأها؛ فيصدقها ويقع في نفس الفخ وهو لا يدري ..

وذلك لسببٍ وحيد : أن الجميع يرددها !

بالضبط، كما ترى بعض الصحفيين الأفاكين حينما يرددون الخبر الكاذب، ويصدقونه لكثرة تردها !

بالضبط، كما الطفل الذي يسرق قلم زميله، فلا يزال السارق يُقسم أن القلم قلمه، ويقسم ويقسم ويقسم .. حتى يعتقد أن القلم قلمه، ولو تذكر الحادثة بعد سنوات يظن أن القصة قصة قلمه الذي حاول زميله أن يختلسه منه !

انظر هذه ..

اجتمع نفرٌ من قريش حول الوليد بن المغيرة، وكان ذا سنٍّهم وقد حَضَرَ الموسمَ فقال لهم : يا معشر قُريشٍ ، إِنَّهُ قد حَضَرَ هَذَا المَوْسِمَ [يعني موسم الحج] وَإِنَّ وُفُودَ الْعَرَبِ سَتَقْدَمُ عَلَيْكُمْ فِيهِ، وَقَدْ سَمِعُوا بِأَمْرِ صَاحِبِكُمْ هَذَا ، فَأَجْمَعُوا فِيهِ رَأْيَا وَاحِدًا، وَلَا تَخْتَلَفُوا، فَيَكْذَبَ بَعْضُكُمْ بَعْضًا ، وَيَرُدَّ قَوْلَكُمْ بَعْضُهُ بَعْضًا ؛ قَالُوا : فَأَنْتَ يَا أَبَا عَبْدِ

شَمْسٍ، فَقُلْ وَأَقِمْ لَنَا رَأْيَا نَقُولَ بِهِ .

قَالَ: بَلْ أَنْتُمْ فَقُولُوا أَسْمَعُ .

قَالُوا : نَقُولُ كَاهِنٌ .

﴿ قَالَ : لَا وَاللَّهِ مَا هُوَ بِكَاهِنٍ ، لَقَدْ رَأَيْنَا لَكُفْهَانَ ، فَمَا هُوَ بِزِمْرَمَةِ الْكَاهِنِ ، وَلَا سَجْعَةٍ . ﴾

✍ **قَالُوا : فَنَقُولُ مَجْنُونَ .**

﴿ قَالَ : مَا هُوَ بِمَجْنُونٍ ، لَقَدْ رَأَيْنَا الْجُنُونَ وَعَرَفْنَاهُ ، فَمَا هُوَ بِخَقِيقِهِ ، وَلَا تَخَالِجْهُ وَلَا وَسْوَاسَتِهِ . ﴾

✍ قَالُوا : فَنَقُولُ شَاعِرٌ.

❦ **قَالَ:** مَا هُوَ بِشَاعِرٍ، لَقَدْ عَرَفْنَا الشَّعْرَ كُلَّهُ: رَجَزَهُ وَهَزَجَهُ، وَفَرِيسُهُ، وَمَقْبُوضُهُ وَمَبْسُوطُهُ، فَمَا هُوَ بِالشَّعْرِ .

❦ **قَالُوا:** فَنَقُولُ سَاحِرٌ .

✍ **قَالُوا : فَنَقُولُ سَاحِرٌ .**

﴿قَالَ: مَا هُوَ بِسَاحِرٍ، لَقَدْ رَأَيْنَا السَّحَّارَ وَسَحَرَهُمْ، فَمَا هُوَ بِنَفْثِهِمْ، وَلَا عَقْدِهِمْ. قَالُوا: فَمَا نَقُولُ يَا أَبَا عَبْدِ شَمْسٍ؟﴾

قَالُوا: فَمَا نَقُولُ يَا أَبَا عَبْدِ شَمْسٍ؟

قَالَ : وَاللَّهِ إِنَّ لِقَوْلِهِ لَحَلَاوَةً ، وَإِنَّ أَصْلَهُ لَعَدِيقٌ ، وَإِنَّ فَرْعَهُ لِحَنَاءٌ ، وَمَا أَنْتُمْ بِقَائِلِينَ مِنْ هَذَا شَيْئًا ؛ إِلَّا عُرِفَ أَنَّهُ بَاطِلٌ ، وَإِنَّ أَقْرَبَ الْقَوْلِ فِيهِ لِأَنْ تَقُولُوا سَاحِرٌ جَاءَ بِقَوْلٍ هُوَ سِحْرٌ ؛ يُفَرِّقُ بِهِ بَيْنَ الْمُرءِ وَأَبِيهِ ، وَبَيْنَ الْمُرءِ وَأَخِيهِ ، وَبَيْنَ الْمُرءِ وَعَشِيرَتِهِ .

فَتَفَرَّقُوا عَنْهُ بِذَلِكَ ، فَجَعَلُوا يَجْلِسُونَ بِسُبُلِ النَّاسِ حِينَ قَدِمُوا الْمَوْسِمَ ؛ لَا يَمُرُّ بِهِمْ أَحَدٌ إِلَّا حَذَرُوهُ إِيَّاهُ ، وَذَكَرُوا لَهُمْ أَمْرَهُ . فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى فِي الْوَلِيدِ بْنِ الْغُبَيْرَةِ :

﴿ ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا ۝۱۱ وَجَعَلْتُ لَهُ، مَا لَا مَمْدُودًا ۝۱۲ وَبَيْنَ شُهُودًا ۝۱۳ وَمَهَّدْتُ لَهُ، تَهِيدًا ۝۱۴ ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ ۝۱۵ كَلَّا إِنَّهُ، كَانَ لِآيَاتِنَا عَمِيدًا ۝۱۶ سَأَرْهُقُهُ، صَعُودًا ۝۱۷ إِنَّهُ، فَكَرَ وَقَدَّرَ ۝۱۸ فَقِيلَ كَيْفَ قَدَّرَ ۝۱۹ ثُمَّ قِيلَ كَيْفَ قَدَّرَ ۝۲۰ ثُمَّ نَظَرَ ۝۲۱ ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ ۝۲۲ ثُمَّ أَدْبَرَ وَاسْتَكْبَرَ ۝۲۳ فَقَالَ إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ يُؤْتَرُ ۝۲۴ إِنْ هَذَا إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ ۝۲۵ سَأُصْلِيهِ سَقَرَ ۝۲۶ وَمَا أَذْرَاكَ مَا سَقَرُ ۝۲۷ لَا بُقْيَ وَلَا نَذْرُ ۝۲۸ لَوْحَةٌ لِلْبَشَرِ ۝۲۹ عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ ﴾ [المذثر: ١١، ٣٠].^(١)

هكذا نرى اجتماع أبواق الباطل على فِرية معينة تلو بعضها الألسنة، وتجتمع حولها الآراء، وينطق بها الجميع من هنا وهناك .

(۱) انظر: ابن هشام ۱ / ۲۷۱ .

﴿ تأمل ذلك في قول هذا الرجل الداهية : " فَاجْمَعُوا فِيهِ رَأْيَا وَاحِدًا ، وَلَا تَخْتَلِفُوا ، فَيَكْذَبَ بَعْضُكُمْ بَعْضًا " .

ثم تأمل كيف اتحدت قوى الشر في المشرق والمغرب على مصطلح واحد - هو مصطلح الإرهاب - تصفُ به الإسلاميين على اختلاف مذاهبهم .

﴿ فترى أمريكا تقول : نحن نحارب الإرهاب ، وترى الكيان الصهيوني يقول : نحن نحارب الإرهاب ، وترى الأنظمة العربية والمتحكمين يقولون : نحن نحارب الإرهاب . وتردد البعّاءات من خلفهم : نحن نحارب الإرهاب ، نحارب الإرهاب ، الإرهاب . إرهاب ، إرهاب ، إرهاب !!

حتى ترى كثيرًا من الكتاب والمثقفين والفنانين العرب يرددون ذلك كصدى الصوت الذي يجيب صوت المُنادي ، وأكثرهم لا يفقهون أن مصطلح الإرهاب يقصد به المسلمون عامة ، والحركيون خاصة ، والجهاديون على وجه الأخص . ومسألة القضاء عليهم جميعًا مسألة أولويات ؛ فالأولى القضاء على المقاتلين ، ثم الحركيين ، ثم عامة المسلمين ، ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين .

وهكذا انفقت قوى الشر على حملة التضليل ؛ فقعدوا بسبل الناس ، واعتلوا منابر الإعلام المختلفة ، وشرعوا في بث دعاية الكذب والبهتان لصد الناس عن الداعية ، لا يَمُرُّ بِهِمْ أَحَدٌ إِلَّا حَذَرُوهُ إِيَّاهُ ، ولا تمر بهم فرصة إلا انتهزوها في نفث سمومهم ، ولا تصيبهم قارعة أو مصيبة إلا ألصقوها بالدعوة والداعية ، حالهم كحال الفراعنة الذين قالوا لموسى - عليه السلام - :

﴿ قَالُوا أَطِيزَنَا بِكَ وَيَمَن مَّعَكَ قَالَ طَئِيزُكُمْ عِنْدَ اللَّهِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ تُفْتَنُونَ ﴾ [النمل: ٤٧] .

وعجبًا لهؤلاء المبطلين يبذلون جهدًا كبيرًا في انتاج الشائعات ، وقد رأيت كيف دخلوا على أسن رجل في قريش وبحثوا أنسب الشائعات ، ففكّرَ وقَدَّرَ ، ثم فكرَ وقَدَّرَ ، ثم فكرَ قَدَّرَ ، وكل ذلك للوصول إلى فرية محكمة ، ثم نظر وتأمل ؛ فالأمر جد صعب مع صاحب الخلق العظيم ، ثم عبس ؛ فهم يواجهون دعوة صادقة ، ثم بسر ؛ فقد أعيتهم الحيل ، ثم رجعوا إلى أنسب الحلول المقترحة على فسادها ، ومع علمهم بفسالتها

وَهَشَاشَتَهَا، فَقَالُوا: إِنَّ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثَرُ. إِنَّ هَذَا إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ. الْمَهْمُ أَنْ تَتَفَقَّ
الكلمة على مصطلح محدد.

هذا يبين لك جلد الفاجر في فجره، وحماسة الباطل في باطله، وكيف يمكر بدعوة
الله الماكرون، ويبيتوت يترصدون لها أنجع الطرق لمحاربتها، فضلاً عن انتظار طامة أو
مصيبة خارجية قد تقضي - بزعمهم - على الدعوة والداعية: ﴿أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَتَرَبَّصُّ بِهِ
رَبِّبَ الْمُؤْمِنُونَ﴾ [الطور: ٣٠].

ليعلم الدعاة، أن سهام الباطل لا تستهدف سوى الدعوة الصادقة الناجحة؛ خاصة
ما إذا كان لها حضورٌ بين الناس، فالظالمون لا يستهدفون الدعوات النائمة أو المذاهب
التي عفا عليها الزمن، إنما يستهدفون الجماعات الحية العاملة، كما السرطان يستهدف
الخلايا الحية.

وهذه الافتراءات والشبهات والشائعات لن تضر الصادقين إلا أذى؛ إنما وليهم الله
الذي تكفل بحفظ دعوتهم، وإن تحولوا هم عنها إلى غيرها وصاروا حربة عليها. إنما
تحوم الافتراءات حول حمى الدعوة ومنهجها؛ تسعى حثيثاً أن تجد ثغرة تجعل منها
جيباً، ثم تجعل من الجيب فرقة، ثم من الفرقة جماعة تحارب الجماعة، ثم ينقض الباطل
على الجميع بعدما أثختهم جراح الطعن والتجريح.

ولما كانت الفرية تحوم حول الدعوة كالطيور الجارحة الجائعة؛ كان على أهل الدعوة
أن يحكموا بناء أخوتهم، وأن يوثقوا عرى جماعتهم، وأن يثقلوا جدار الدعوة بالحصن
تلو الحصن، من برامج تربوية، ودورات علمية شرعية، وندوات فكرية تحصينية.
فإذا تحصنت الدعوة حق التحصين؛ فعليها أن تبارد إذا بزعة الباطل ومذاهبه
ورجاله، وأن يبادر المؤمنون الواثقون بفضح مخططات المذاهب المعادية؛ لينشغل أهل
الباطل بأنفسهم، ولينشغلوا عن أعراض المؤمنين.

وماذا علينا لو كنا دومًا أصحاب المبادرة في تسديد الضربات المختلفة لهم، وإلى متى
نقف موقف المدافع الذي يستجيب لأقل فعل برد فعل ثم يحمد؟

فإذا ما هم جمعوا رأيهم فيكم، فاجمعوا رأيكم فيهم، وبادروا أنتم واستبقوهم، واقعدوا أنتم بسبل الناس، بلغوهم دعوتكم، وحصنوهم من أفكار عدوكم.

لن تسلم الدعوات الناجحة من الوشاة والحاسدين.
لا تعب بكثرة الشائعات ما دام المنهج أصيلاً سليماً.
أنت الأعلى دوماً إذا احتوشك صناديد الباطل.

نزها دعوتكم عن الدنآت واربأوا بأنفسكم عن السعاية والغيبة والنميمة ولا تخلطوها بحديثكم عن أصحاب المذاهب الهدامة، وفرقوا بين فضح المخططات وكشف العورات.

وتذكر دوماً قول الله تعالى :
" يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا بَغْيُكُمْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ ".
وقال عز وجل: " ثُمَّ بُغِيَ عَلَيْهِ لِيُضَرَّهُ اللَّهُ ".

وقول الشاعر:

فلا تسبق إلى أحدٍ بغيٍّ ... فإنَّ البغيَّ مَصْرَعُهُ وخيم

- ١- مدارس حول كتاب بروتوكولات حكماء صهيون.
- ٢- التعرف على جهود بعض المستشرقين في اختلاق افتراءات جديدة ومستحدثة حول الإسلام، طالع على سبيل المثال كتاب "افتراءات المستشرقين على الاسلام" للدكتور عبد العظيم المطعني.

- ٣- ادعو بعض أصدقائك إلى حفلة شاي؛ تناقش فيها بعض الشبهات العالقة والمسائل المغلوطة؛ فتصحح لهم ما

أشكل عليهم، وتشرح لهم ما استحكم، وتبين لهم ما استغلق.



الشراكة الباطلة

اعترض محمداً - ﷺ - وهو يطوف بالكعبة نفر من سادات قريش ، فقالوا : يا محمد ! هلم فلنعبد ما تعبد ، وتعبد ما نعبد ، فنشترك نحن وأنت في الأمر ، فإن كان الذي نعبد خيراً مما نعبد ، كنا قد أخذنا بحظنا منه ، وإن كان ما نعبد خيراً مما نعبد كنت قد أخذت بحظك منه .

فأنزل الله تعالى فيهم سورة " الكافرون " ليعلم نبيه الرد الأمثل في هذه القضية الخطيرة ، فقال تعالى : ﴿ قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ (١) لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ (٢) وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ (٣) وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَّا عَبَدْتُمْ (٤) وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ (٥) لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ ﴾ [الكافرون: ٢] .^(١)

قال سيد قطب - رحمه الله - :

" فنزلت هذه السورة على الرسول - ﷺ - للمفارقة الحاسمة بين عبادة وعبادة ، ومنهج ومنهج ، وتصور وتصور ، وطريق وطريق ، نعم نزلت نفياً بعد نفي ، وجزماً بعد جزم ، وتوكيداً بعد توكيد ، بأنه لا لقاء بين الحق والباطل ، ولا اجتماع بين النور والظلام ، فالاختلاف جوهرى كامل يستحيل معه اللقاء على شيء في منتصف الطريق ، والأمر لا يحتاج إلى مهادنة أو مراوغة ، نعم فالأمر هنا ليس مصلحة ذاتية ، ولا رغبة عابرة ، ولا سماً في عسل ، وليس الدين لله والوطن للجميع كما تزعم الجاهلية المعاصرة ، ويدعي المنافقون والمستغربون الذين يتبعون الضالين والمغضوب عليهم ، ولا كما يعتقد الملحدون أعداء الله سبحانه في كل مكان ، كان الرد حاسماً على زعماء قريش المشركين ، ولا مساومة ، ولا مشابهة ، ولا حلول وسط ، ولا ترضيات شخصية ، فإن الجاهلية جاهلية والإسلام إسلام ، في كل زمان ومكان ، والفارق بينهم بعيد كالفرق بين التبر والتراب ، والسبيل الوحيد هو الخروج عن الجاهلية بجملتها إلى الإسلام بجملته عبادة وحكما ، وإلا فهي البراءة التامة والمفارقة الكاملة والحسم الصريح بين الحق والباطل في كل زمان ﴿ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ ﴾ .. " .^(٢)

(١) ابن هشام ج ١ / ص ٣٦٢ .

(٢) انظر: سيد قطب: في ظلال القرآن ٦ / ٣٩٩١ .

التنازل عن بعض الثوابت

﴿وَإِذَا نُتِلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَاتُنَا بَيِّنَاتٍ ۖ قَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا أَأَنْتِ بِشِرْعَانٍ غَيْرِ
هَذَا أَوْ بَدَّلَهُ ۚ قُلْ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أُبَدِّلَهُ مِنْ تِلْقَآئِ نَفْسِي ۚ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ ۚ إِنِّي
أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ۝﴾ [يونس: ١٥].^(١٠)

الإغراءات

﴿ فواصل عتبة قائلاً : إن كنت تزعم أن هؤلاء خير منك فقد عبدوا الآلهة التي عبت، وإن كنت تزعم أنك خير منهم فقل يسمع لقولك، لقد أفضحتنا في العرب حتى طار فيهم أن في قريش ساحراً، وأن في قريش كاهناً، ما تريد إلا أن يقوم بعضنا لبعض بالسيوف حتى نتفاني ﴾^(٢).

(١) الواحدى : أسباب النزول، ص ٢٠٠، والسيرة للصلاى ١ / ١٧٠ .

(٢) السيرة الحلية ٤٥٦ / ١ .

جنون أو مس [تراه لا تستطيع رده عن نفسك؛ طلبنا لك الطب وبذلنا فيه أموالنا حتى نبرئك منه، فإنه ربما غلب التابع على الرجل حتى يتداوى منه.
 و لا زال عتبة يتحدث إلى النبي - ﷺ - ، بهذا الحديث الذي لا يخلوا من التعريض أو من التجريح، ورسول الله - ﷺ - في أنصت واستمع بكل احترام للشيخ ..
 حتى إذا فرغ عتبة، قال له النبي - ﷺ - في أدب ورفق :- "أفرغت يا أبا الوليد؟"
 قال: نعم.

❦ قال: "اسمع مني".

❦ قال: أفعل.

فقرأ عليه النبي أول سورة فصلت ^(١) .

الحق المر

ولقد صدع النبي - ﷺ - بقوله الحق وهو في أشد الظروف وأصعبها، فيقول الحق ولو على حساب مصلحته وأمنه، أو على حساب الوشائج والصلات العائلية..
 ومثال ذلك موقفه - ﷺ - من عمه أبي لهب الذي أخذته حمية العصبية، والقراية العائلية، فتدخل حمياته بعد وفاة أبي طالب، فساء ذلك قريشاً، ورتبت خطة أنهت بها تلك الحماية بإيقاع النبي - ﷺ - في موقف حرج، إذ ذهب عقبة بن أبي معيط وأبو جهل ابن هشام إلى أبي لهب فقالا له: أخبرك ابن أخيك أين مدخل أبيك؟ فقال له أبو لهب: يا محمد أين مدخل عبد المطلب؟ قال: مع قومه، فخرج أبو لهب إليهما فقال: قد سألتك فقال مع قومه، فقالاً: يزعم أنه في النار، فقال: يا محمد أيدخل عبد المطلب النار؟ فقال رسول الله - ﷺ - : "نعم، ومن مات على مثل ما مات عليه عبد المطلب دخل النار"، فقال أبو لهب: والله لا برحت لك عدواً أبداً، وأنت تزعم أن عبد المطلب في النار! فاشتد عليه هو وسائر قريش ^(٢).

المناظرات العقيمة

كان النبي - ﷺ - إذا جلس مجلساً، للدعوة والعلم، وتلا فيها القرآن وحذر قريشاً ما أصاب الأمم الخالية؛ خلفه في مجلسه النضر بن الحارث، بهدف التشويش والصد

(١) انظر: ابن كثير: السيرة النبوية ١/ ٥٠٤ .

(٢) ابن سعد، ج ١/ ٢١١ .

❦ قال السهيلي: لو تأمل ابن الزبيري وغيره من كفار قريش الآية لرأى أن اعتراضه غير لازم من وجهين:

❦ أحدهما: أنه خطاب متوجه على الخصوص لقريش عبدة الأصنام، وقوله (إنا نعبد الملائكة) حيدة، وإنما وقع الكلام والمحاجة في اللات والعزى وهبل وغير ذلك من أصنامهم.

❦ والثاني: أن لفظ التلاوة: (إنكم وما تعبدون) ولم يقل (ومن تعبدون) فكيف يلزم اعتراضه بالمسيح وعزير والملائكة، وهم يعقلون والأصنام لا تعقل؟ ومن ثم جاءت الآية بلفظ ما الواقعة على ما لا يعقل^(١).

تعنت، وأطروحات غيبية

لقد كان من منهجه عدم الإكتراث بكلام السفهاء فضلاً عن تشويشهم أو تصفيرهم أو شتمهم، كان النبي - ﷺ - يمضي قدماً في دعوته، جاداً، رزيناً، واثقاً، يفتح قلبه للناس، يخطب ودهم في عفة، يتحجب إليهم في تواضع، وهو السيد ابن السيد... وقد تطرق تفكير المشركين أن يطلبوا من النبي - ﷺ - مطالب، ليس الغرض منها التأكد من صدقه، ولكن غرضهم منها التعنت بل السفاهة والاستهزاء به.

❦ ومثال ما طلبوه :

- أ- أن يفجر لهم من الأرض ينبوعاً: أي يجري لهم الماء عيوناً جارية.
- ب- أو تكون له جنة من نخيل وأعناب يفجر الأنهار خلالها تفجيراً، أي تكون له حديقة فيها النخل والعنب، والأنهار تتفجر بداخلها.
- ج- أو يسقط السماء كسفاً: أي يسقط السماء قطعاً كما سيكون يوم القيامة.
- د- أو يأتي بالله والملائكة قبيلاً.
- هـ- أو يكون له بيت من زخرف: أي ذهب.
- و- أو يرقى في السماء: أي يتخذ سلماً يرتقي عليه ويصعد إلى السماء.
- ز- إنزال كتاب من السماء يقرؤونه، يقول مجاهد: أي مكتوب فيه إلى كل واحد صحيفة: هذا كتاب من الله لفلان ابن فلان؛ تصبح موضوعة عند رأسه!

ح- وطلبوا من رسول الله ﷺ أن يدعو لهم فيسير لهم الجبال، ويقطع الأرض، ويبعث من مضى من آبائهم من الموتى^(١).

وقد ذكر الله سبحانه وتعالى هذه التعتات والرد عليها في قوله سبحانه: ﴿وَقَالُوا لَنْ نُؤْمِرَكَ لَكَ حَتَّى تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الْأَرْضِ يَنْبُوعًا ۖ أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِّنْ نَّحِيلٍ وَعَنْبٌ فَتُفَجِّرَ الْأَنْهَارَ خِلَالَهَا تَفْجِيرًا ۝١١ أَوْ تُسْقِطَ السَّمَاءَ كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسْفًا أَوْ تَأْتِيَ بِاللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ قَبِيلًا ۝١٢ أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِّنْ زُخْرِفٍ أَوْ تَرْفَىٰ فِي السَّمَاءِ وَلَنْ نُؤْمِنَ لِزُفْيِكَ حَتَّى تُنْزِلَ عَلَيْنَا كِتَابًا نَقْرُؤُهُ ۚ قُلْ سُبْحَانَ رَبِّيَ هَلْ كُنْتُ إِلَّا بَشَرًا رَسُولًا ۝١٣ وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَنْ يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَىٰ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَبَعَثَ اللَّهُ بَشَرًا رَسُولًا ۝١٤ قُلْ لَوْ كُنْتُ فِي الْأَرْضِ مَلَكًا يَمْشُوكَ يَمْشُونَ مُطْمَئِنِّينَ لَنَزَّلْنَا عَلَيْهِم مِّنَ السَّمَاءِ مَلَكًا رَسُولًا ۝١٥ قُلْ كَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا﴾ [الإسراء: ٩٠، ٩٦]

وكان رد النبي ﷺ - وكفى به جوابًا وشرحًا :

"مَا بِهِذَا بُعِثْتُ إِلَيْكُمْ ! إِنَّمَا جِئْتُكُمْ مِنْ اللَّهِ بِمَا بَعَثَنِي بِهِ وَقَدْ بَلَّغْتُكُمْ مَا أُرْسِلْتُ بِهِ إِلَيْكُمْ؛ فَإِنْ تَقَبَّلُوهُ فَهُوَ حَظُّكُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَإِنْ تَرُدُّوهُ عَلَيَّ أَصْبِرْ لِأَمْرِ اللَّهِ تَعَالَى ، حَتَّى يَحْكُمَ اللَّهُ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ"^(٢).

١- تعلّم كيف تدفع الشبهات التي تستهدف دينك وشريعتك ودعوتك، تعلم الخطابة، أو الكتابة الصحفية، أو إدارة حلقة نقاشية، أو دروة تدريبية في فنون التواصل.

٢- شاهد المناظرات المسجلة للدعاة الكبار أحمد ديدات، وغيره من الدعاة الفصحاء المخلصين .. ومناظرات الشيخ ديدات بالذات ستثقلك، وستكسبك مهارات جديدة.



(١) انظر: سميرة محمد هجوم : المعوقون للدعوة الاسلاميه ، ص ١٧١، ١٧٢ .

(٢) انظر: ابن هشام : ٤٥٩/١ .

التركيز على التكوين والتربية

كان منهج رسول الله - ﷺ - في العهد المكي الكف عن القتال، والانهك في تربية الأفراد وتكوين الدعوة، حيث كان أمر الله حينئذ أن ﴿كُفُّوا أَيْدِيَكُمْ وَأَقِيمُوا

الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ﴾ [النساء: ٧٧]

في حين كانت رغبة الشباب المسلم المتحمس هي الدفاع عن النفس بالساعد والسلاح، فقد جاء عبد الرحمن بن عوف وأصحابه - أيام مكة - إلى النبي - ﷺ - فقالوا: يا نبي الله كنا في عزة ونحن مشركون، فلما آمننا صرنا أذلة، قال: "إِنِّي أُمِرْتُ بِالْعَفْوِ فَلَا تُقَاتِلُوا [القوم]..."^(١).

وقد استمرت هذه المرحلة على مدار العهد المكي - أي طيلة ثلاث عشرة سنة - ذاق المسلمون فيها شتى ألوان التضيق والاضطهاد والإيذاء. "وكان الصحابة يراجعون فيها رسول الله - ﷺ - ليستأذنوه برد الظلم عنهم فيمنعهم عن ذلك، ويأمرهم بالصبر وباستكمال مراحل التربية الإيمانية الواجبة في الطلائع الأولى من حملة الدعوة"^(٢). وعن الحكمة من الأمر بالكف عن القتال خلال هذه الفترة، يذكر صاحب الظلال - رحمه الله - مجموعة من الأسباب الوجيهة والحكم الجلية لمسألة الكف عن القتال في مكة.

نذكر منها بإيجاز ما يلي:

١ - أن الكف عن القتال في مكة، ربما لأن الفترة المكية كانت فترة تربية وإعداد في بيئة معينة، لقوم معينين، وسط ظروف معينة، ومن أهداف التربية في مثل هذه البيئة: تربية الفرد العربي على الصبر، على ما لا يصبر عليه عادة، من الضيم حين يقع عليه أو على من يلوذون به، ليخلص من شخصه ويتجرد من ذاته، فلا يندفع لأول مؤثر، ولا يحتاج لأول مهيج، ومن ثم يتم الاعتدال في طبيعته وحركته، ثم تربيته على أن يتبع نظام المجتمع الجديد بأوامر القيادة الجديدة، حيث لا يتصرف إلا وفق ما تأمره - مهما

(١) أخرجه النسائي (٣٠٣٦)، وصححه الألباني .

(٢) انجوغو صمب: أروع القيم الحضارية ٢٣ .

يكن مخالفاً لما لوفه وعادته - وقد كان هذا هو حجر الأساس في إعداد شخصية العربي المسلم لإنشاء (المجتمع المسلم)^(١).

٢- وربما كان ذلك أيضاً؛ لأن الدعوة السلمية، أشد أثراً وأنفذ في مثل بيئة قريش ذات العنجهية والشرف، والتي قد يدفعها القتال معها - في مثل هذه الفترة - إلى زيادة العناد، ونشأة ثارات دموية جديدة، كثارات العرب المعروفة أمثال داحس والغبراء وحرب البسوس، أعواماً طويلة، تفانت فيها قبائل برمتها - وتكون هذه الثارات الجديدة مرتبطة في أذهانهم وذاكراتهم بالإسلام. فلا تهدأ بعد ذلك أبداً. ويتحول الإسلام من دعوة، إلى ثارات تُنسى معها فكرته الأساسية!

٣- وربما كان ذلك أيضاً اجتناباً لإنشاء معركة ومقتلة داخل كل بيت، فلم تكن هناك سلطة نظامية عامة هي التي تعذب المؤمنين، وإنما كان ذلك موكولاً إلى أولياء كل فرد، ومعنى الإذن بالقتال، في مثل هذه البيئة، أن تقع معركة ومقتلة في كل بيت ثم يقال: هذا هو الإسلام، ولقد قيلت حتى والإسلام يأمر بالكف عن القتال، فقد كانت دعاية قريش في المواسم، إن محمداً يفرق بين الوالد وولده، فوق تفريقه لقومه وعشيرته، فكيف لو كان كذلك يأمر الولد بقتل الوالد، والمولى بقتل الولي^(٢).

٤- وربما كان ذلك أيضاً، لما يعلمه الله، من أن كثيراً من المعاندين الذين يفتنون المسلمين عن دينهم ويعذبونهم، هم بأنفسهم سيكونون من جند الإسلام المخلص، بل من قادته، ألم يكن عمر بن الخطاب من بين هؤلاء؟^(٣)

٥- وربما كان ذلك أيضاً؛ لأن النخوة العربية من عاداتها أن تشور للمظلوم الذي يحتمل الأذى، ولا يتراجع، وبخاصة إذا كان الأذى واقعا على كرام الناس فيهم، وقد وقعت ظواهر كثيرة تثبت صحة هذه النظرة في هذه البيئة، فابن الدُّعْنَم لم يرض أن يترك أبا بكر وهو رجل كريم يهاجر ويخرج من مكة، ورأى في ذلك عاراً على العرب،

(١) سيد قطب: في ظلال القرآن ٢ / ٧١٤.

(٢) المصدر السابق.

(٣) المصدر السابق.

(٤) المصدر السابق.

وعرض عليه جواره وحمايته، وآخر هذه الظواهر نقض صحيفة الحصار لبني هاشم في شعب أبي طالب.

٦- وربما كان ذلك أيضًا لقلة عدد المسلمين حينئذ، وانحصارهم في مكة، حيث لم تبلغ الدعوة إلى بقية الجزيرة أو بلغت ولكن بصورة متناثرة، حيث كانت القبائل تقف على الحياد من معركة داخلية بين قريش، وبعض أبنائها، لترى ماذا يكون مصير الموقف، ففي مثل هذه الحالة قد تنتهي المعركة المحدودة إلى قتل المجموعة المسلمة القليلة، حتى ولو قتلوا هم أضعاف من سيقتل منهم، ويبقى الشرك ولا يقوم للإسلام في الأرض نظام^(١).

إن في هذه السياسة النبوية لدرسٌ لأصحاب الرسالات الربانية! فينبغي تفادي الصدام المبكر مع أصحاب النفوذ قدر الإمكان، حتى لا تتحرك الدعوة في أجواء الأكره والاضطهاد في وقت مبكر، الأمر الذي يُعيق سيرها، ويُوفر فرصة الانقضاد عليها.

حثة - ﷺ - على الصبر في مواجهة الإيذاء:

عن خباب بن الارت - رضي الله عنه - قال :

شكونا إلى رسول الله - ﷺ - وهو متوسد برده له في ظل الكعبة، قلنا له: ألا تستنصر لنا! ألا تدعو الله لنا!

قال : "كَانَ الرَّجُلُ فِيمَنْ قَبْلَكُمْ يُخْفَرُ لَهُ فِي الْأَرْضِ، فَيُجْعَلُ فِيهِ، فَيَجَاءُ بِالْمِنْشَارِ فَيُوضَعُ عَلَى رَأْسِهِ فَيُشَقُّ بِاثْنَتَيْنِ، وَمَا يَصُدُّهُ ذَلِكَ عَنْ دِينِهِ وَيُمَشِّطُ بِأَمْشَاطِ الْحَدِيدِ مَا دُونَ لَحْمِهِ مِنْ عَظْمٍ أَوْ عَصَبٍ، وَمَا يَصُدُّهُ ذَلِكَ عَنْ دِينِهِ .. وَاللَّهِ لَيَتِمَّنَّ هَذَا الْأَمْرَ حَتَّى يَسِيرَ الرَّائِبُ مِنْ صَنْعَاءَ إِلَى حَضْرَمَوْتَ لَا يَخَافُ إِلَّا اللَّهَ أَوْ الدَّثْبَ عَلَى غَنَمِهِ وَلَكِنَّكُمْ تَسْتَعْجِلُونَ"^(٢).

وكان رسول الله - ﷺ - يمر بالمستضعفين فيشد على أيديهم، ويصبرهم، ويأمرهم بالصبر.. فكانت بنو محزوم يخرجون بعمار بن ياسر وبأبيه وكانوا أهل بيت إسلام، إذا

(١) المصدر السابق .

(٢) البخاري: ٣٣٤٣ .

السَّيْرَةُ النَّبَوِيَّةُ *****
 حَمِيَّتِ الظَّهِيْرَةُ يُعَذِّبُوْنَهُمْ بِرَمَضَاءِ مَكَّةَ ، فَيَمُرُّ بِهِمْ رَسُوْلُ اللهِ - ﷺ - - فَيَقُوْلُ : " صَبْرًا اَلَّ
 يَاسِرَ مَوْعِدُكُمْ الْجَنَّةَ " .
 فَاَمَّا اُمُّهُ فَتَقْتُلُوْهَا ، وَهِيَ تَأْتِيْ اِلَّا الْاِسْلَامَ ^(١) .

وجدير بالإشارة أن نزول آيات الصبر قد امتدت على طول الفترة المكية تقود خطوات المؤمنين خطوة خطوة، فتمرنوا على تحمل المشاق وتحمل الأذى، وضبط الإرادة، وألا تكون تصرفاتهم ردود أفعال، كما تدربوا على الالتزام بما يرد عن الله تعالى، مع أوامر رسول الله - ﷺ - ^(٢) .

صور من صبره - ﷺ - على الإيذاء :

عن عبد الله بن مسعود - رضي الله عنه - : أن النبي - ﷺ - كان يصلي عند البيت، وأبو جهل وأصحاب له جلوس؛ إذ قال بعضهم لبعض : أيكم يحيى بسلاً جُزور^(٣) بني فلان فيضعه على ظهر محمد إذا سجد، فانبعث أشقى القوم [وهو عقبة بن أبي معيط] فجاء به فنظر، حتى إذا سجد النبي - ﷺ - وضع على ظهره بين كتفيه، وأنا أنظر، لا أغنى شيئاً، لو كانت لي منعة، قال : فجعلوا يضحكون، ويحيل بعضهم على بعضهم، ورسول الله - ﷺ - ساجد، لا يرفع رأسه، حتى جاءت فاطمة، فطرحته عن ظهره، فرفع رأسه، ثم قال : "اللَّهُمَّ عَلَيكَ بِقُرَيْشٍ" ثلاث مرات، فشق ذلك عليهم إذ دعا عليهم، قال : وكانوا يرون أن الدعوة في ذلك البلد مستجابة، ثم سمي : "اللَّهُمَّ عَلَيكَ بِأَبِي جَهْلٍ وَعَلَيْكَ بِعُتْبَةَ بْنِ رَبِيعَةَ وَشَيْبَةَ بْنِ رَبِيعَةَ وَالْوَلِيدِ بْنِ عُتْبَةَ وَأُمَيَّةَ بْنِ خَلْفٍ وَعُقْبَةَ بْنِ أَبِي مُعَيْطٍ" - وعد السابع فلم نحفظه - فوالذي نفسى بيده لقد رأيت الذين عدّ رسول الله - ﷺ - - صرعى في القليب، قليب بدر^(٤) .

- ولما سمعت أم جميل بنت حُزَيْمٍ بن أمية : " حَمَالَةَ الْحَطَبِ مَا نَزَلَ فِيهَا ، وَفِي زَوْجِهَا أَبِي لَهَبٍ مِنَ الْقُرْآنِ أَتَتْ رَسُوْلَ اللهِ - ﷺ - - وَهُوَ جَالِسٌ فِي الْمَسْجِدِ عِنْدَ الْكَعْبَةِ وَمَعَهُ أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ ، وَفِي يَدِهَا فَهْرٌ مِنْ حِجَارَةٍ فَلَمَّا وَقَفَتْ عَلَيْهِمَا أَخَذَ اللهُ بِصَرِّهَا

(١) ابن هشام ج ١ / ص ٣١٩ .

(٢) انظر : محمد أنحزون: منهج النبي، ص ٨٠ .

(٣) أمعاء الجمل المذبوح .

(٤) البخاري رقم ٢٣٣ .

عَنْ رَسُولِ اللَّهِ - ﷺ - فَلَا تَرَى إِلَّا أَبَا بَكْرٍ ، فَقَالَتْ : يَا أَبَا بَكْرٍ : أَيْنَ صَاحِبُكَ ، فَقَدْ بَلَغَنِي أَنَّهُ يَهْجُونِي ، وَاللَّهِ لَوْ وَجَدْتَهُ لَضَرَبْتُ بِهَذَا الْفِهْرِ فَاهُ ! أَمَا وَاللَّهِ إِنِّي لَشَاعِرَةٌ ! " .

ثُمَّ قَالَتْ :

مُذَمَّمًا عَصِينًا ... وَأَمْرُهُ أَبِينَا ... وَدِينُهُ قَلِينَا ..

ثُمَّ انصرفت ، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ! أَمَا تَرَاهَا رَأَتْكَ ؟

فَقَالَ : " مَا رَأَتْنِي ، لَقَدْ أَخَذَ اللَّهُ بِبَصَرِهَا عَنِّي " .

وَكَانَتْ قُرَيْشٌ إِنَّمَا تُسَمِّي رَسُولَ اللَّهِ - ﷺ - مُذَمَّمًا ، ثُمَّ يَسْبُونَهُ فَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - يَقُولُ : " أَلَا تَعْجَبُونَ لِمَا يَصْرِفُ اللَّهُ عَنِّي مِنْ أَدَى قُرَيْشٍ ، يَسْبُونَ وَيَهْجُونَ مُذَمَّمًا ، وَأَنَا مُحَمَّدٌ " ^(١) .

- وكان الأحنس بن شريق الثقفي من كبار قريش ، يصيب من رسول الله - ﷺ -

ويرد عليه فأنزل الله تعالى ﴿ وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَّهِينٍ ﴾ ^(١٠) هَمَازٍ مَشَاءٍ بِنَمِيمٍ ^(١١) مَنَاجٍ لِلْخَيْرِ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ ^(١٢) عَتَلٌ بَعْدَ ذَلِكَ زَنِيمٍ ﴿ [الفلم: ١٠، ١٣] ^(١٣) .

- وكان أمية بن خلف إذا رأى رسول الله - ﷺ - همزه ولمزه . وفيه نزل ﴿ وَيَلِّ لِكُلِّ هَمْزٍ قُلُومٌ لَّعُزَّةٌ ﴾ [الهمزة: ١] قال ابن هشام : الهمزة : الذي يشتم الرجل علانية ،

ويكسر عينيه ، ويغمز به . واللمزة : الذي يعيب الناس سراً ، ويؤذيهم ^(١٤) .

- ومَرَّ أَبُو جَهْلٍ بِرَسُولِ اللَّهِ - ﷺ - عِنْدَ الصَّفَا ، فَأَذَاهُ وَشَتَمَهُ وَنَالَ مِنْهُ بَعْضَ مَا يَكْرَهُ مِنَ الْعَيْبِ لِدِينِهِ وَالتَّضَعِيفِ لِأَمْرِهِ فَلَمْ يُكَلِّمْهُ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - ^(١٥) .

- ومَرَّ أَبُو جَهْلٍ بِالنَّبِيِّ - ﷺ - وهو يصلي ، فَقَالَ : أَلَمْ أَنْهَكَ [أي عن الصلاة هنا] ، فَانْتَهَرَهُ النَّبِيُّ - ﷺ - فَقَالَ لَهُ أَبُو جَهْلٍ : لِمَ تَنْتَهَرُنِي يَا مُحَمَّدٌ ؟ فَوَاللَّهِ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا بَهَا رَجُلٌ أَكْثَرَ نَادِيًا مِنِّي !

(١) ابن هشام ج ١ / ص ٣٥٥ .

(٢) ابن هشام ج ١ / ص ٣٦٠ .

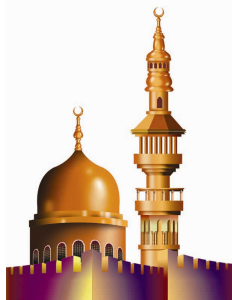
(٣) ابن هشام ج ١ / ص ٣٥٦ .

(٤) ابن هشام ج ١ / ص ٢٩١ .

١- استعن بالله، واعلم أنها وسيلتك الناجعة على الصبر والثبات وقت المحن - هي المحافظة على أوراد اليوم واللييلة، فرّوض نفسك على الصبر والثبات من خلال المداومة على أوراد (الأذكار - القيام - الصيام - ورد القرآن - ركعتي الضحى - ورد الرياضة - التفكير - الاعتكاف - محاسبة النفس).



- ٢- مطالعة نتفًا من قصص الصابرين والثابتين على الحق، وحدث إخوانك بها مرارًا، وتعايش مع أحداثها بقلبك ووجدانك.
- ٣- طالع كتاب : " قادة الغرب يقولون : دمروا الإسلام أبيدوا أهله " .
- ٤- زيارة داعية أو عالم، له موقف في الصبر على البلاء، تتحدث إليه عن موقفه، وعایش محنته، وتأمل همته ومُنته، واستفد من خبرته وتجربته . فمخالطة الصالحين فلاح ونجاح ورباح .



"أخذ المشركون عمار بن ياسر فلم يتركوه حتى سبَّ النبي - ﷺ - ، وذكر آهتهم بخير ثم تركوه ، فلما أتى رسول الله - ﷺ - قال : « ما وراءك ؟ » قال : شر يا رسول الله ، ما تركتُ حتى نلتُ منك ، وذكرت آهتهم بخير قال : « كيف تجد قلبك ؟ » قال : مطمئن بالإيمان قال : « إن عادوا فعد » ^(١) .

بين الرخصة والعزيمة

كان المشركون يُخرجون آل ياسر إلى الأبطح إذا حمت الرمضاء فيعذبونهم بحرّها ، ولم يستطع رسول الله - ﷺ - أن يدفع عنهم شيئاً ، اللهم إلا المرور بهم ليصبرهم بقوله : " صبراً آل ياسر ، فإن موعدكم الجنة " ..

وفي دوامة التنكيل :

مات ياسر من شدة التعذيب ..

ولما رفضت امرأته " سُمَيَّة " القول بكلمة الكفر وأغلظت القول لأبي جهل طعنها - لعنه الله - في قُبَلِها بحربة في يديه ، فماتت . فكانت أول شهيدة .

وتفننوا دروب الضرب والتعذيب في جسد عمار بن ياسر ، بالحرّ والصخر والتغريق . وقد "أخذوه بنو المغيرة فغطوه في بئر ميمون وقالوا : اكفر بمحمد" ^(٢) .

﴿ وقالوا له : لا نتركك حتى تسب محمداً أو تقول في اللات والعزى خيراً ففعل ، فتركوه ، فشكى ذلك إلى النبي - ﷺ - وقال له : ما تركت حتى نلت منك وذكرت آهتهم بخير ^(٣) .. وبكى . فجعل - صلوات ربي وسلامه عليه - يمسح الدُموع عنه ، وقال له : كَيْفَ تَجِدُ قَلْبَكَ ؟

﴿ قَالَ : مُطْمَئِنّاً بِالْإِيْمَانِ .

﴿ قَالَ : " فَإِنْ عَادُوا فَعُدْ " .

(١) الحاكم : ٣٣١٩ ، وقال الألباني رجاله ثقات مرسلأ .

(٢) تفسير الطبري ١٧ / ٣٠٤ .

(٣) البيهقي ١٨ / ٢٠٩ .

وفيه نزل قول الله تعالى: ﴿مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إيمَانِهِ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإيمَانِ وَلَكِنْ مَنْ شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِنَ اللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [النحل: ١٠٦]

وفي هذا الباب يقول النبي - ﷺ - : "إِنَّ اللَّهَ تَجَاوَزَ عَنْ أُمَّتِي الْخُطَا وَالنِّسْيَانَ وَمَا اسْتَكْبَرُوا عَلَيْهِ" (١).

قال ابن عباس: ﴿إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإيمَانِ﴾ فأخبر الله سبحانه أنه من كفر من بعد إيمانه، فعليه غضب من الله وله عذاب عظيم، فأما من أكره فتكلم به لسانه وخالفه قلبه بالإيمان لينجو بذلك من عدوه، فلا حرج عليه، لأن الله سبحانه إنما يأخذ العباد بما عقدت عليه قلوبهم. (٢).

قال ابن كثير: "فهؤلاء كانوا معذورين بما حصل لهم من الإهانة والعذاب البليغ، أجازنا الله من ذلك بحوله وقوته" (٣).

وقال ابن عاشور في تفسيره - التحرير والتنوير - في هذه الآية: "وقد رخصت هذه الآية للمكره على إظهار الكفر أن يظهره بشيء من مظاهره التي يطلق عليها أنها كفر في عرف الناس من قول أو فعل. وقد أجمع علماء الإسلام على الأخذ بذلك في أقوال الكفر، فقالوا: فمن أكره على الكفر غير جارية عليه أحكام الكفر، لأن الإكراه قرينة على أن كفره تقية ومصانعة بعد أن كان مسلماً. وقد رخص الله ذلك رفقا بعباده واعتباراً للأشياء بغاياتها ومقاصدها".

وإذا كان الله تبارك وتعالى قد رخص للمسلم أن ينطق بالكفر عند الإكراه، فإنه رخص فيها هو أقل من ذلك كأكل الميتة وشرب الخمر عند الضرورة الملحة.

كذلك قد يضطر المسلم إلى ترك فريضة، أو فعل واجب عند الضرورة، كما يجوز للمسلم ترك السنة المؤكدة عن الحاجة، وقد تتحول المستحبات إلى مركوبات إذا خالفت الأولى.

(١) ابن ماجه: ٢٠٣٣، وصححه الألباني.

(٢) تفسير الطبري ١٧ / ٣٠٥.

(٣) ابن كثير (السيرة): ١ / ٤٩٥.

الرخص الشرعية

والرخصة في اللغة معناها اليسر والسهولة. وفي الشريعة: "مَا أُرْخِصَ فِيهِ مَعَ كَوْنِهِ حَرَامًا"^(١). ويقابلها العزيمة .

وقد شرع الإسلام الرخص لرفع الضيق المؤدي في الغالب إلى الحرج والمشقة لفقدان المصالح الضرورية. ورفع الحرج مقصد من مقاصد الشريعة وأصل من أصولها، فإن الشارع لم يكلف الناس بالتكاليف والواجبات لإعانتهم أو تحصيل المشقة عليهم . وقد دل على ذلك القرآن والسنة وانهقد الإجماع على ذلك .

قال الله تعالى: ﴿ مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ وَلَكِنْ يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ ﴾ [المائدة: ٦]

وضرب القرآن مثلاً للرخصة في قوله تعالى: ﴿ فَمَنْ أَضْطَرَّ فِي مَخْصَصَةٍ غَيْرِ مُتَجَانِفٍ لِإِثْمٍ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ [المائدة: ٣]

ومن ذلك - أيضاً - الإفطار في السفر أيام رمضان، وقصر الصلاة المفروضة في السفر، فتصلي الصلاة الرباعية بركعتين فقط حال السفر. والمسح على الخفين في الوضوء، والتميم بالتراب إذا فقد الماء للوضوء أو إذا كان المسلم مريضاً.. كما في قوله تعالى: ﴿ وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْهُقًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ أَوْ لَمَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ يَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا ﴾

[النساء: ٤٣]

وفي الرخص الشرعية .. قال النبي - ﷺ -: "إن الله يحب أن تؤتى رخصه كما يكره أن تؤتى معصيته"^(٢) . وفي رواية: "كما يحب أن تؤتى عزائمه" ..

نماذج :

ومن أمثلة الرخص الشرعية غير مثال عمار بن ياسر، ما رواه أبو سعيد

حيث قال :

سَافَرْنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ - ﷺ - إِلَى مَكَّةَ وَنَحْنُ صِيَامٌ، فَنَزَلْنَا مَنْزِلًا، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - : "إِنَّكُمْ قَدْ دَنَوْتُمْ مِنْ عَدُوِّكُمْ وَالْفِطْرُ أَقْوَى لَكُمْ" .

(١) الغزالي : المستصفى ص ١٩٤ .

(٢) أخرجه أحمد (٥٦٠٠) من حديث ابن عمر، وصححه الألباني في الإرواء .

فَكَانَتْ رُحْصَةً .. فَمِنَّا مَنْ صَامَ وَمِنَّا مَنْ أَفْطَرَ، ثُمَّ نَزَلْنَا مَنَزِلًا آخَرَ فَقَالَ: "إِنَّكُمْ مُصَبِّحُو عَدُوِّكُمْ وَالْفِطْرُ أَقْوَى لَكُمْ" .. فَأَفْطَرُوا^(١) ..

وَعَنْ أَنَسٍ قَالَ:

كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي سَفَرٍ فَصَامَ بَعْضُ وَأَفْطَرَ بَعْضُ، فَتَحَزَّمَ الْمُفْطِرُونَ وَعَمِلُوا، وَضَعُفَ الصَّوَامُ عَنْ بَعْضِ الْعَمَلِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي ذَلِكَ: "ذَهَبَ الْمُفْطِرُونَ الْيَوْمَ بِالْأَجْرِ"^(٢) .

وَعَنْ حَمْرَةَ بِنِ عَمْرِو أَنَّهُ قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَجِدُ بِي قُوَّةً عَلَى الصِّيَامِ فِي السَّفَرِ، فَهَلْ عَلَيَّ جُنَاحٌ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "هِيَ رُحْصَةٌ مِنَ اللَّهِ فَمَنْ أَخَذَ بِهَا فَحَسَنٌ، وَمَنْ أَحَبَّ أَنْ يَصُومَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ"^(٣) .

وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو بْنِ الْعَاصِ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا -:

قَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ - : "يَا عَبْدَ اللَّهِ أَلَمْ أَخْبَرَ أَنَّكَ تَصُومُ النَّهَارَ وَتَقُومُ اللَّيْلَ؟" فَقُلْتُ: بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ .

قَالَ: "فَلَا تَفْعَلْ! صُمْ وَأَفْطِرْ، وَتُمْ وَنَمْ، فَإِنَّ لِحَسَدِكَ عَلَيْكَ حَقًّا، وَإِنَّ لِعَيْنِكَ عَلَيْكَ حَقًّا، وَإِنَّ لِرِزْوَاجِكَ عَلَيْكَ حَقًّا، وَإِنَّ لِرِزْقِكَ عَلَيْكَ حَقًّا، وَإِنَّ بِحَسْبِكَ أَنْ تَصُومَ كُلَّ شَهْرٍ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ؛ فَإِنَّ لَكَ بِكُلِّ حَسَنَةٍ عَشْرَ أَمْثَالِهَا فَإِنَّ ذَلِكَ صِيَامُ الدَّهْرِ كُلِّهِ" ..

قَالَ عَبْدُ اللَّهِ: فَشَدَّدْتُ فُشْدَدَ عَلَيَّ. قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنِّي أَجِدُ قُوَّةً.

قَالَ: "فَصُمْ صِيَامَ نَبِيِّ اللَّهِ دَاوُدَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَلَا تَزِدْ عَلَيْهِ" .

قُلْتُ: وَمَا كَانَ صِيَامُ نَبِيِّ اللَّهِ دَاوُدَ عَلَيْهِ السَّلَامُ.

قَالَ: "نِصْفَ الدَّهْرِ" ..

فَكَانَ عَبْدُ اللَّهِ يَقُولُ: بَعْدَ مَا كَبِرَ يَا لَيْتَنِي قَبِلْتُ رُحْصَةَ النَّبِيِّ^(٤) .

وَعَنْ جَابِرٍ قَالَ: خَرَجْنَا فِي سَفَرٍ فَأَصَابَ رَجُلًا مِنَّا حَجَرٌ فَشَجَّهَ فِي رَأْسِهِ ثُمَّ اخْتَلَمَ فَسَأَلَ أَصْحَابَهُ فَقَالَ: هَلْ نَحْدُونَ لِي رُحْصَةً فِي التَّيْمُمِ؟ فَقَالُوا: مَا نَجِدُ لَكَ

(١) أخرجه مسلم (١٨٨٨) .

(٢) أخرجه مسلم مسلم (١٨٨٧) .

(٣) أخرجه مسلم (١٨٩١) .

(٤) أخرجه البخاري (١٨٨٨) .

السَّيْرَةُ النَّبَوِيَّةُ
 رُخْصَةً وَأَنْتَ تَقْدِرُ عَلَى الْمَاءِ . فَاعْتَثِلْ فَمَاتَ . فَلَمَّا قَدِمْنَا عَلَى النَّبِيِّ ﷺ - أَخْبَرَ بِذَلِكَ ،
 فَقَالَ : " قَتَلُوهُ قَتَلَهُمُ اللَّهُ !! أَلَا سَأَلُوا إِذْ لَمْ يَعْلَمُوا فَإِنَّمَا شِفَاءُ الْعِيِّ السُّؤَالُ . إِنَّمَا كَانَ
 يَكْفِيهِ أَنْ يَتَيَّمَمَ وَيَعْصِرَ - أَوْ يَعِصَبَ - عَلَى جُرْحِهِ خِرْقَةً ثُمَّ يَمْسَحَ عَلَيْهَا وَيَغْسِلَ سَائِرَ
 جَسَدِهِ " (١) .

من الواقع : مسلم مصري أكره على الكفر .

من فتاوى الأزهر الشريف

التاريخ : شعبان ١٣٧٠ هجرية - ٢٣ مايو ١٩٥١ م .

السائل : ع . ن .

السؤال : اعتنقت الإسلام منذ حوالى عام ، وأشهرت إسلامى بإعلام شرعى
 بمحكمة مصر الابتدائية الشرعية بتاريخ ١٩ / ٤ / ١٩٥١ .

وتحت تهديد من عائلتى بالقتل أُمِلِّىَّ عليَّ إقرارُ كتابى ضد إرادتى وعقيدتى
 لرجوعى إلى المسيحية ، وبما أنى ما زلت مؤمنا بقلبى بالإسلام ، ومؤديا لجميع
 الفروض ، ومتزوجا من سيدة مسلمة من عائلة كريمة ، فقد حررت خطابا رسميا
 لرئيس المجلس الملى القبطى أعلن فيه إشهارى للإسلام ، واستنكارى لما أُمِلِّىَّ على تحت
 التهديد ، وهذا الخطاب مؤرخ بتاريخ ١٦ / ٥ / ١٩٥١ ومسجل وتاريخه ثانى يوم
 لكتابة التهديد .

فهل أعتبر مرتدا عن الإسلام بمجرد كتابى لهذا الإقرار أمام الله ، أم لا أزال مسلما
 كما أعتقد .

الإجابة :

إن من أكره على الكفر فأجرى كلمته على لسانه أو كتبها مكرها وقلبه مطمئن
 بالإيمان لا يكفر بذلك عند الله ، ولا تجرى عليه أحكام الكفر ، فلا تبين امرأته ،
 ويرثه المسلمون ويرثهم ، ويدفن فى مقابرهم ، وعلى هذا أجمع الأئمة أبو حنيفة
 ومالك والشافعى وابن حنبل رضى الله عنهم ، واستدلوا بما روى أن عمار بن ياسر
 رضى الله عنه أخذه المشركون فضربوه حتى تكلم بما طلبوا منه (من الكفر) -

(١) أخرجه أبو داود (٢٨٤) وحسنه الألبانى .

السِّيَرَةُ النَّبَوِيَّةُ

فقيل يا رسول الله إن عماراً كفر، فقال رسول الله - ﷺ - "كلا! إن عماراً ملئ إيماناً من قرنه إلى قدمه واختلط الإيمان بلحمه ودمه" .. فأتى عمار رسول الله - ﷺ - وهو يبكي فجعل رسول الله - ﷺ - يمسح عينيه ويقول: "مالك ؟ ! إن عادوا فعدلهم بما قلت " ..

ونزل قوله تعالى ﴿إِلَّا مَنْ أَكْرَهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ﴾ [النحل: ١٠٦] ، ومتى زال الإكراه أمر بإظهار إسلامه فإن أظهره فهو باق على إسلامه .
والله ولى التوفيق .

إن استطعت أن تتشبه بأم عمار فافعل وإلا فبعمار!

قال الأمام النووي :

" إن تلفظ [أي المكره] بكلمة الكفر وهو أسير لم يحكم بردته لأنه مكره، وإن تلفظ بها في دار الحرب في غير الأسر حكم بردته، لأن كونه في دار الحرب لا يدل على الإكراه، وإن أكل لحم الخنزير أو شرب الخمر لم يحكم بردته، لأنه قد يأكل ويشرب من غير اعتقاد، ومن أكره على كلمة الكفر فالأفضل أن لا يأتي بها ... " (١) .

وذلك لما روى أنس رضى الله عنه أن النبي - ﷺ - قال :

"ثَلَاثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ وَجَدَ حَلَاوَةَ الْإِيمَانِ أَنْ يَكُونَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا وَأَنْ يُحِبَّ الْمَرْءَ لَا يُحِبُّهُ إِلَّا لِلَّهِ وَأَنْ يَكْرَهُ أَنْ يَعُودَ فِي الْكُفْرِ كَمَا يَكْرَهُ أَنْ يُقَذَّفَ فِي النَّارِ " (٢) .

وفي حديث خباب بن الارت، قال رسول الله - ﷺ - : " كَانَ الرَّجُلُ فِيمَنْ قَبْلَكُمْ يُحْفَرُ لَهُ فِي الْأَرْضِ فَيُجْعَلُ فِيهِ فَيَجَاءُ بِالْمِنْشَارِ فَيُوضَعُ عَلَى رَأْسِهِ فَيُشَقُّ بِأَنْتَيْنِ، وَمَا يَصُدُّهُ ذَلِكَ عَنْ دِينِهِ وَيُمَشِّطُ بِأَمْشَاطِ الْحَدِيدِ مَا دُونَ لَحْمِهِ مِنْ عَظْمٍ أَوْ عَصَبٍ وَمَا يَصُدُّهُ ذَلِكَ عَنْ دِينِهِ " (٣) .

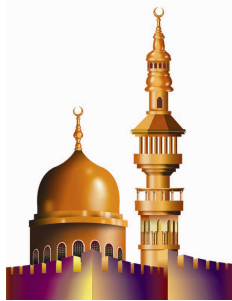
فقد تصلح العزيمة لفرد ولا تصلح لآخر، كما أن العزيمة أوجه بالقادة والعلماء ،
والرخصة أليق بالضعفاء ..

1 المجموع ١٩ / ٢٢١

2 أخرجه البخاري : ١٥

3 البخاري : ٣٣٤٣

- ١- مطالعة كتاب " عدة الصابرين " لابن القيم، كتاب طريف ظريف في فقه الصبر، وفضائله وأنواعه وآثاره .
- ٢- مدارس سورتي العنكبوت والبروج، واستخرج دروسهما في كراسة، ودومًا - وقت المحن - اتل في نفسك أول سورة العنكبوت؛ فمفعولها عظيم جدًا.



عن أم سلمة؛ أن النبي - ﷺ - قال :
 " إِنَّ بَارِضَ الْحَبْشَةِ مَلِكًا لَا يُظْلَمُ أَحَدٌ عِنْدَهُ؛
 فَالْحُقُوا بِبِلَادِهِ؛ حَتَّى يَجْعَلَ اللَّهُ لَكُمْ فَرَجًا وَمَخْرَجًا مِمَّا
 أَنْتُمْ فِيهِ " (١) .

الهجرة إلى الحبشة

دعوة وملاذ

اشتد العذابُ على المسلمين في مكة؛ فأذن لهم رسول الله ﷺ بالهجرة إلى الحبشة؛ فرارًا بالدين، ولإنشاء قاعدة إسلامية هناك؛ وهي نظرة بعيدة من صاحب الدعوة؛ تبين أن بقاء الدعوة أهم من بقاء الرجال، تبين أهمية وجود تجمع إسلامي إضافي يكفل الحياة للدعوة إذا ضربها الباطل في معقلها الأول بمكة.

فهب أن الوثنية انقضت على الإسلام، وقُتل المسلمون عن آخرهم في مكة، ألا ترى بقاءً للإسلام بعد هذا اليوم؟ ألا ترى أن من الحنكة أو من التفكير الاستراتيجي بناء أكثر من قاعدة للدعوة في أماكن عدة - وذلك في مهدها - حتى إذا قويت شوكتها، واشتد ساعدها، وقامت دولتها؛ ملمت أشتاتها، وجمعت منتشرها؟ وهذا ما حدث بالفعل بعد فتح خيبر سنة ٧ هـ، حيث أذن النبي - ﷺ - لمهاجري الحبشة بالعودة إلى الوطن الجديد؛ إذ أن مهمتهم قد انتهت، ورسالتهم قد اكتملت؛ وكانوا من قبل يرغبون في العودة إلى مكة أو إلى المدينة - في فترة الحرب الدفاعية - فلا يأذن لهم.

لذلك كان هدف الجالية الإسلامية في بلاد أوروبا؛ الترس بقوانين الحرية والاستعانة بها في تبليغ الإسلام .

" إِنَّ بَارِضَ الْحَبْشَةِ مَلِكًا لَا يُظْلَمُ أَحَدٌ عِنْدَهُ ... "

إن المسلم ليس درويشًا لا يعلم البيئة التي تحيط به . إنما المسلم حصيفًا ذكيًا يعرف جياذ الأوطان، وعقلاء الملوك . يعرف الأرض الصالحة للأمن، ويفهم تاريخ حكام المنطقة، ويستطيع أن يأخذ قراره أن فلائًا يصلح وأن فلائًا لا يصلح، وأن هذه الأرض مناسبة وأن تلك غير مناسبة .

(١) أخرجه البيهقي " السنن " (١٨١٩٠)، وأورده الألباني في السلسلة الصحيحة، برقم : ٣١٩٠ .

ومن هنا دعوة لجموع الدعاة أن يتثقفوا سياسياً وجغرافياً وتاريخياً؛ وأن يستعينوا بهذه الثقافة في خدمة دين الله.

ليس الداعية بالذي يحفظ ويلفظ؛ إنما الداعية الفقيه البصير، والسياسي الخبير، والاقتصادي الحاذق، والجغرافي الماهر، والمؤرخ البارِع. أو باختصار، يفقه واقعه .

" فَالْحُقُوا بِبِلَادِهِ؛ حَتَّى يَجْعَلَ اللَّهُ لَكُمْ فَرَجًا وَمَخْرَجًا مِمَّا أَنْتُمْ فِيهِ".

نعم .. سيجعل الله بعد عسرٍ يسراً، ستنفرج الحلقة، وستنكشف الغمة، ويتنشر الإسلام، ويعم العدل، ويسود الخير، ويأمن الخائف، ويطعم الجائع، ويكسى العريان، ويسير الراكب من القاهرة إلى القدس إلى تل أبيب لا يَخَافُ إِلَّا اللَّهَ، ويهل بحجة وعمرة من المسجد الأقصى إلى المسجد الحرام، لا يَخَافُ إِلَّا اللَّهَ.

وماذا علينا لو آمنا ودفعنا ضريبة الصبر والثبات والتضحية - طيبة بها نفوسنا حتى يُنزل الله نصره، ساعتها سيعلم الجمعُ أن للصبر ثمرة أغلى من الذهب، وأن للثبات أجرٌ يناطح الجوزاء، وأن التضحية لم تذهب هباءً منثورًا. يَا هَنَاهُ ... وَيُحْكُ ! لا تقل : تأخر نصر الله . بل قل : ألا إن نصر الله قريب.

الهجرة .. والجهاد الدبلوماسي

ومضى المؤمنون في هجرتهم الأولى - وكانت في العام الخامس من البعثة - وكانوا عشرة رجال، وأربع نسوة، نعم، جماعة صغيرة، لكنها نواة لجالية عظيمة في الحبشة، سيكون بها سلطان عظيم في مملكة النجاشي.

وهؤلاء تسللوا سرًّا؛ لضرورة الواقع المتربص بالدعوة.

وكانوا جميعًا من الأشراف؛ ليعلم الدارس أنها نخبة إسلامية خرجت للدعوة بأرض الحبشة إضافة إلى الاستعانة بها كدار آمن وملاذ من الاضطهاد .

ثم كان الفوج الثاني من مهاجرة الحبشة، وكانت خرجتهم الثانية هذه أعظم مشقة من الأولى، ولقوا من المشركين أذىً كثيرًا .

كانت عدتهم ثلاثة ثمانون رجلاً وثمانى عشرة امرأة .
وسعت قريش للوقعة بين النجاشي والمسلمين، وأرسلت وفداً دبلوماسياً إلى
النجاشي لتسليم المسلمين إليها، كما تفعل دول الظلام مع الدعاة في عصرنا، وكان
الوفد يتألف من رجلين من دهاة العرب : عبد الله بن أبي ربيعة وعمرو بن العاص -
وذلك بالطبع قبل إسلامه ؛- وحملت معها الهدايا، ورشوا هداياهم على البطارقة
وبطانة الملك، ثم كلما النجاشي، بعد أن منحاه هدية، وطلبوا أن يلقي يقبض على أفراد
الجالية الإسلامية ..

أنصت لدهاء عمرو، وطرحه وتحليله العجيب :
﴿ قَالَ : " أَيُّهَا الْمَلِكُ إِنَّهُ قَدْ ضَوَى إِلَى بَلَدِكَ مِنَّا غِلْمَانٌ سَفَهَاءُ، فَارْقُوا دِينَ قَوْمِهِمْ،
وَلَمْ يَدْخُلُوا فِي دِينِكَ، وَجَاءُوا بِدِينٍ ابْتَدَعُوهُ لَا نَعْرِفُهُ نَحْنُ وَلَا أَنْتَ، وَقَدْ بَعَثْنَا إِلَيْكَ
فِيهِمْ أَشْرَافَ قَوْمِهِمْ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَعْمَامِهِمْ وَعَشَائِرِهِمْ لِيَرُدَّهُمْ إِلَيْهِمْ فَهُمْ أَعْلَى بِهِمْ عَيْنًا،
وَأَعْلَمُ بِمَا عَابُوا عَلَيْهِمْ وَعَاتَبُوهُمْ فِيهِ " ﴾^(١).

كلمات صاروخية !

تحليل أثقب من المثقاب !

لكن هذا الدهاء لم يحل دون غضبة الملك الكريم .

﴿ وَلَمْ تَحُلْ أَيْضًا شَفَاعَةَ الْبَطَارِقَةِ الَّذِينَ قَبَضُوا الْهَدِيَّةَ وَقَالُوا :
" صَدَقَ أَيُّهَا الْمَلِكُ ! قَوْمُهُمْ أَعْلَى بِهِمْ عَيْنًا، وَأَعْلَمُ بِمَا عَابُوا عَلَيْهِمْ، فَأَسْلَمْنَاهُمْ إِلَيْهِمَا
فَلِيَرُدَّهُمْ إِلَى بِلَادِهِمْ وَقَوْمِهِمْ " ﴾^(٢).

﴿ قَالَ النجاشي - وقد أغضبته هذه الكلمات - وهي في ظاهر الأمر حسنة
جزلة فصيحة جداً - :
" لَاهَا اللَّهُ ! إِذْنٌ لَا أَسْلِمُهُمْ إِلَيْهِمَا، وَلَا يَكَادُ قَوْمٌ جَاوَرُونِي، وَنَزَلُوا بِإِلَادِي،
وَاخْتَارُونِي عَلَى مَنْ سِوَايَ، حَتَّى أَدْعُوهُمْ فَأَسْأَلُهُمْ عَمَّا يَقُولُ هَذَانِ فِي أَمْرِهِمْ، فَإِنْ كَانُوا
كَمَا يَقُولَانِ أَسْلَمْتُهُمْ إِلَيْهِمَا، وَرَدَدْتُهُمْ إِلَى قَوْمِهِمْ وَإِنْ كَانُوا عَلَى غَيْرِ ذَلِكَ مَنَعْتُهُمْ مِنْهُمَا،
وَأَحْسَنْتُ جَوَارَهُمْ مَا جَاوَرُونِي " ﴾^(٣).

(١) ابن هشام : ١ / ٣٣٤ .

(٢) ابن هشام : ١ / ٣٣٤ .

(٣) ابن هشام : ١ / ٣٣٤ .

وليس فوق الحاكم العادل منزلةً إلا نبيُّ مرسل، أو ملكٌ مقربٌ ..

هذا هو الرئيس الحرّ، النجاشي، لم يكن جباناً كـبعض حكام زماننا؛ إذا نظرت له أمريكا نظرة تفيد أن سلّم إلينا الشيخ فلان والدكتور علان، سرعان ما يرضخ ويقبل الأيادي والأحذية، ويسلم تسليماً كثيراً !

وأرسل النجاشي إلى أصحاب رسول الله - ﷺ ، فلما جاءهم رُسُولُهُ اجْتَمَعُوا ، ثُمَّ قَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ : مَا تَقُولُونَ لِلرَّجُلِ إِذَا جِئْتُمُوهُ ، قَالُوا : نَقُولُ - وَاللَّهِ - مَا عَلِمْنَا ، وَمَا أَمَرْنَا بِهِ نَبِيًّا - ﷺ - كَأَيْنَا فِي ذَلِكَ مَا هُوَ كَائِنْ . فَلَمَّا جَاءُوا ، وَقَدْ دَعَا النَّجَاشِيُّ أَسَاقِفَتَهُ فَنَشَرُوا مَصَاحِفَهُمْ حَوْلَهُ ؛ سَأَلَهُمْ فَقَالَ لَهُمْ : مَا هَذَا الدِّينُ الَّذِي قَدْ فَارَقْتُمْ فِيهِ قَوْمَكُمْ ، وَلَمْ تَدْخُلُوا دِينِي ، وَلَا فِي دِينِ أَحَدٍ مِنْ هَذِهِ الْمِلَلِ (١) ؟ .

فَكَانَ الَّذِي كَلَّمَهُ جَعْفَرُ بْنُ أَبِي طَالِبٍ (رِضْوَانُ اللَّهِ عَلَيْهِ)؛ فطرح عليه الإسلام في كلمات دقيقة معدودة، فبدأ بذكر مساوئ الجاهلية، ثم ذكر صفات النبي ﷺ - في سطر واحد، ثم عدّد له فضائل الإسلام ومحاسن تعاليمه، ثم أوضح له الإيذاء الذي تعرض له المسلمون، ولم ينس استمالة النجاشي ومدحه بها هو أهله..

(أ) أَيُّهَا الْمَلِكُ، كُنَّا قَوْمًا أَهْلَ جَاهِلِيَّةٍ، نَعْبُدُ الْأَصْنَامَ، وَنَأْكُلُ الْمَيْتَةَ وَنَأْتِي الْفَوَاحِشَ، وَنَقْطَعُ الْأَرْحَامَ، وَنُسِيءُ الْجَوَارِ، وَيَأْكُلُ الْقَوِيُّ مِنَ الضَّعِيفِ، فَكُنَّا عَلَى ذَلِكَ...

(ب) حَتَّىٰ بَعَثَ اللَّهُ إِلَيْنَا رَسُولًا مِنَّا، نَعْرِفُ نَسَبَهُ، وَصِدْقَهُ، وَأَمَانَتَهُ، وَعَفَافَهُ...

(ج) فَدَعَانَا إِلَى اللَّهِ لِئَوْحَدَهُ وَنَعْبُدَهُ وَنَخْلَعَ مَا كُنَّا نَعْبُدُ نَحْنُ وَأَبَاؤُنَا مِنْ دُونِهِ مِنْ
الْحِجَارَةِ وَالْأَوْثَانِ، وَأَمَرَنَا بِصَدَقِ الْحَدِيثِ، وَأَدَاءِ الْأَمَانَةِ، وَصَلَةِ الرَّحِمِ، وَحُسْنِ

الجوار، والكف عن المحارم والدماء، ومهاناً عن الفواحش، وقول الزور وأكل مال
اليتيم، وقذف المحصنات، وأمرنا أن نعبد الله وحده لا نشارك به شيئاً، وأمرنا بالصلاة،
والزكاة، والصيام... فصَدَّقْنَاهُ وَأَمَّنَّا بِهِ وَاتَّبَعْنَاهُ عَلَى مَا جَاءَ بِهِ مِنْ اللَّهِ فَعَبَدْنَا اللَّهَ وَحْدَهُ
فَلَمْ نُشْرِكْ بِهِ شَيْئاً، وَحَرَّمْنَا مَا حَرَّمَ عَلَيْنَا، وَأَحْلَلْنَا مَا أَحَلَّ لَنَا..

(د) فَعَدَا عَلَيْنَا قَوْمُنَا، فَعَذَّبُونَا، وَفَتَنُونَا عَنْ دِينِنَا، لِيُرِدُّونَا إِلَى عِبَادَةِ الْأَوْثَانِ مِنْ عِبَادَةِ
اللَّهِ تَعَالَى، وَأَنْ نَسْتَحِلَّ مَا كُنَّا نَسْتَحِلُّ مِنَ الْحَبَائِثِ فَلَمَّا قَهَرُونَا وَظَلَمُونَا وَضَيَّقُوا عَلَيْنَا،
وَحَالُوا بَيْنَنَا وَبَيْنَ دِينِنَا...

(هـ) خَرَجْنَا إِلَى بِلَادِكِ، وَاخْتَرْنَاكَ عَلَى مَنْ سِوَاكَ؛ وَرَغَبْنَا فِي جِوَارِكَ، وَرَجَوْنَا أَنْ لَا
نُظْلَمَ عِنْدَكَ أَيُّهَا الْمَلِكُ ^(١).

هكذا فليخبر الداعية كلماته، وليتقن المسلم كيف يُعرِّفُ بدينه، وكيف يشرح
منهجه في كلمات قليلة، خاصة أمام أصحاب السطوة والسلطان.
إن حسن البيان عن الإسلام يرفع قدره، ويعلى ذكره، ويعظم خطره، ويدل على
فضل نبيه - ﷺ - .

هذا الدين يحتاج منا في هذا العصر إلى الإيجاز في شرحه، والتبسيط في طرحه،
بحيث لا تأخذ من وقت السامع وقتاً يدفعه إلى الملالة والانصراف عنك إلى غيرك.
وأنت قد رأيت كيف شرح جعفر القضية في دقائق قليلة .

ذلك بأن المكثار كحاطب الليل؛ لا يأمن العقرب والحية، وأفصح الناس من زين
المعنى العزيز باللفظ الوجيز. وأول العيِّ الاختلاط والاضطراب، وأساء القول
الإفراط في الإطناب، ومن أكثر أسقط، ومن أكثر أهجر . وإذا كثر الكلام اختل، وإذا
اختل اعتل، وخير الكلام ما قل ودل، ولم يطل فيمل.

يا مسلم، لا تكن طويل اللسان قصير الرأي، مسهباً ثرثاراً، خطلاً مكثراً !

تخيرات الآيات

﴿ فَقَالَ لَهُ النَّجَاشِيُّ : هَلْ مَعَكَ مِمَّا جَاءَ بِهِ عَنْ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ ؟ ﴾

*** السيرة النبوية ***
فَقَرَأَ عَلَيْهِ صَدْرًا مِنْ سُورَةِ مَرْيَمَ .. فَبَكَى - وَاللَّهُ - النَّجَاشِيُّ حَتَّى اخْضَلَّتْ لَحْيَتُهُ،
وَبَكَتْ أَسَاقِفَتُهُ حَتَّى اخْضَلُّوا مَصَاحِفَهُمْ حِينَ سَمِعُوا مَا تَلَا عَلَيْهِمْ .
ثُمَّ قَالَ النَّجَاشِيُّ : إِنَّ هَذَا وَالَّذِي جَاءَ بِهِ عِيسَى ؛ لِيُخْرِجُ مِنْ مِشْكَاةٍ وَاحِدَةٍ !

هكذا القرآن، إذا وقع على القلوب الصادقة؛ سكن بها، وشرح صدرها، وأسال
دمعتها، وحرك وجدانها .

هكذا الآية المناسبة في الموقف المناسب، والسورة الكريمة في الموضوع المناسب، إنها
سورة مريم بين أقوام يحبون مريم، وآيات كريمة تتحدث بأدب جم عن ولادة المسيح،
وتحكي عن زكريا ويحيى، وتتلو دعاء خاشعاً خاضعاً ... هنا سالت المدامع، واهتزت
الأضالع، وزفرت الأنفاس، وهمدت الحواس، ولهت ألسنة البطارقة بالتساييح والدعاء .
﴿ لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ ءَامَنُوا وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا ﴾ وَلَتَجِدَنَّ
أَقْرَبَهُمْ مَوَدَّةً لِلَّذِينَ ءَامَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصْرِيكَ ذَلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قَسِيصِينَ
وَرُحَبَاءَنَا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٨٤﴾ وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَى أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ
مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَا ءَامَنَّا فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ ﴿٨٥﴾ [المائدة: ٨٢].

محاولة أخرى

وهكذا هزم وفد قريش في الجولة الأولى، فقال عمرو :
وَاللَّهِ لَا تَبْنِيَهُ غَدَا عَنْهُمْ بِمَا أَسْتَأْصِلُ بِهِ خَضِرَاءَهُمْ ..

فَقَالَ لَهُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي رَيْعَةَ، وَكَانَ اتَّقَى الرَّجُلَيْنِ: لَا نَفْعَ لِي فَإِنَّ هُمُ
أَرْحَمَاءُ، وَإِنْ كَانُوا قَدْ خَالَفُونَا ؛ قَالَ: وَاللَّهِ لَا خَيْرَ لَهُ أَنَّهُمْ يَزْعُمُونَ أَنَّ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ عَبْدٌ.
ثُمَّ غَدَا عَلَيْهِ مِنَ الْعَدِ فَقَالَ لَهُ: أَيُّهَا الْمَلِكُ إِنَّهُمْ يَقُولُونَ فِي عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ
قَوْلًا عَظِيمًا، فَأَرْسِلَ إِلَيْهِمْ فَسَلِّهُمْ عَمَّا يَقُولُونَ فِيهِ .

فَأَرْسَلَ إِلَيْهِمْ لِيَسْأَلَهُمْ عَنْهُ، فَاجْتَمَعَ الْقَوْمُ ثُمَّ قَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: مَاذَا
تَقُولُونَ فِي عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ إِذَا سَأَلَكُمُ عَنْهُ ؟ قَالُوا : نَقُولُ - وَاللَّهِ - مَا قَالَ اللَّهُ وَمَا جَاءَنَا
بِهِ نَبِيْنَا، كَانِنَا فِي ذَلِكَ مَا هُوَ كَانِنٌ .

﴿ فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَيْهِ قَالَ لَهُمْ : مَاذَا تَقُولُونَ فِي عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ؟
 فَقَالَ جَعْفَرُ بْنُ أَبِي طَالِبٍ : نَقُولُ فِيهِ الَّذِي جَاءَنَا بِهِ نَبِيًّا - ﷺ - : هُوَ عَبْدُ اللَّهِ ،
 وَرَسُولُهُ ، وَرُوحُهُ ، وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ الْعَذْرَاءِ الْبَتُولِ . فَضَرَبَ النَّجَاشِيُّ يَدَهُ إِلَى
 الْأَرْضِ فَأَخَذَ مِنْهَا عُودًا ، ثُمَّ قَالَ : وَاللَّهِ مَا عَدَا عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ مَا قُلْتَ هَذَا الْعُودَ !!
 فَتَنَاحَرَتْ بَطَارِقَتُهُ حَوْلَهُ حِينَ قَالَ مَا قَالَ ..

﴿ فَقَالَ : وَإِنْ نَخَرْتُمْ وَاللَّهِ ، ! اذْهَبُوا فَأَنْتُمْ شُيُومٌ بِأَرْضِي - وَالشُّيُومُ الْأَمْنُونَ - مَنْ
 سَبَّكُمْ غَرِمَ ، مَنْ سَبَّكُمْ غَرِمَ . مَا أُحِبُّ أَنْ لِي دَبْرًا مِنْ ذَهَبٍ ^(١) ، وَأَنْيَ أَذَيْتَ رَجُلًا مِنْكُمْ ،
 رُدُّوْا عَلَيْهِمَا هَدَايَاهُمَا ، فَلَا حَاجَةَ لِي بِهَا ، فَوَاللَّهِ مَا أَخَذَ اللَّهُ مِنِّي الرِّشْوَةَ حِينَ رَدَّ عَلَيَّ
 مُلْكِي ، فَأَخَذَ الرِّشْوَةَ فِيهِ ، وَمَا أَطَاعَ النَّاسَ فِي قَاطِعِهِمْ فِيهِ .

﴿ قَالَتْ أُمُّ سَلَمَةَ - رَوَايَةُ الْقِصَّةِ - : فَخَرَجَا مِنْ عِنْدِهِ مَقْبُوحَيْنِ ، مَرْدُودَا عَلَيْهِمَا مَا
 جَاءَا بِهِ ، وَأَقَمْنَا عِنْدَهُ بِخَيْرِ دَارٍ مَعَ خَيْرِ جَارٍ ^(٢) !

يا لله ! كلما أوقدوا نارًا للحرب؛ أطفئها الله، كلما خطبوا خطة على الإسلام؛ ردها
 الله في نحورهم، كلما مكروا؛ مكر الله بهم ..
 إنه دين الله تكفل بحفظه، يكلؤه بعنايته، إن تنم عنه عيون المسلمين فعين الله لم
 تنم .

﴿ وَلَنْ يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا ﴾ [النساء: ١٤١]

أرأيت كيف أن الصدق نجاة، وأن حُسن البيان نعمة، ووسيل لا غنى عنها في تبليغ
 الإسلام.

وأن الحاكم العادل خير من خُصْب الزمان.

وأن ليس كل من اختلف معك فهو عدوك؟

(١) الدَّبْرُ بلسانهم الجبل، وفُسِّرَ الدَّبْرُ بِالْجَبَلِ قال ابن الأثير هو بالقصر اسم جبل . [لسان العرب ٤ / ٢٦٨].

(٢) ابن هشام ١ : ٣٣٧ ، ٣٣٨ .

✍ **تأمل :** جعفر على دين - هو الإسلام -، والنجاشي على دين - هو النصرانية -، وعمرو على دين - هو الوثنية -، بيد أن عبقرية الداعية الإسلامي جذبت النجاشي إلى صف المسلمين؛ وذلك بالنية الصادقة، والحجة القوية، والكلمة البليغة، الأفكار البديعة، والاستمالة الرفيقة الرقيقة .

قد يكون الحق في صفك؛ ولكنك تضيعه بسوء تصرفك . وهذا هو عجز الثقة .
وقد يكون الباطل في جانبك؛ ولكنك تثبته، وتزخرفه، فتجعل منه حقًا وحقيقةً؛
بالقول البراق، والطرح المنمق، واللسان المجادل العليم .
وهذا هو جلد الفاجر .

يا سيدي، تزين لدعوتك، وجوّد خطبتك، وحرر كلمتك، فأهل الباطل يسهرون
أثناء الليل يبتكرون، ويبدعون أنجع الطرق في حبكة درامية لفيلمٍ فسل !

✍ **مرة أخرى تأمل :** جعفر على دين، والنجاشي على دين، وعمرو على دين،
ونجح جعفر في كسب النصرانية إلى صفه ضد الوثنية، ونحن في عصرنا نجح اليهود
في استقطاب النصرانية في صفهم ضد الإسلام .
ولم نستثمر العداة التاريخي بين اليهود وبين النصرانية .
إذ يعتقد أغلب النصارى أن اليهود هم قتلته المسيح، وهم السبب في خراب
المسيحية .

ومع ذلك نجح اليهود بنفيرهم الإعلامي والاقتصادي في جذب النصرانية إليهم .
ثم إن هذا - أيضًا - بسبب تخاذلنا عن دعوتنا الحضارية بين الأمم .
واستعداد أعداءهم ليسوا لنا بأعداء، على طريقة الحرب على مذهب فقهي معين
أولى من الحرب على الماسونية !

انظر كيف استقطبت الصهيونية العالمية أتباع النصرانية في حملاتها العسكرية
والإعلامية على فلسطين .

وكيف أن العالم النصراني يرى القضية الفلسطينية بعيون يهودية، في حين أن
الإعلام العربي والإسلامي يكاد يكون مغيبًا .

- ١ - اقرأ سورة مريم كما قرأها جعفر، واستمع إليها وأنصت كما صنع النجاشي، وطالع تفسيرها، واكتب خاطرة حولها، واستخلص منها توصية عملية .
- ٢ - اكتب إلى كافر رسالةً من صفحة واحدة فقط - بخط يدك - تشرح له فيها الإسلام.
- ٣ - أرسل رسالةً، صغيرة جداً، مؤثرة جداً، عبر الجوال؛



- لشباب تدعوه إلى الالتزام والتدين والعودة إلى الله .
- ٤ - اكتب مقالة رأي في إطار رسالة مفتوحة لمسؤول فاجر، أو لوزير فاسد، أو لحاكم ظالم، تنصحه في الله، وتأمره بالمعروف، وتنهاه عن المنكر .

